

روايات ذهبية للجيب

حيـــاة مغتـصبـــة

نبيـــل خـــالـد

روايات ذهبية للجيب

حياةٌ مغتصبةٌ

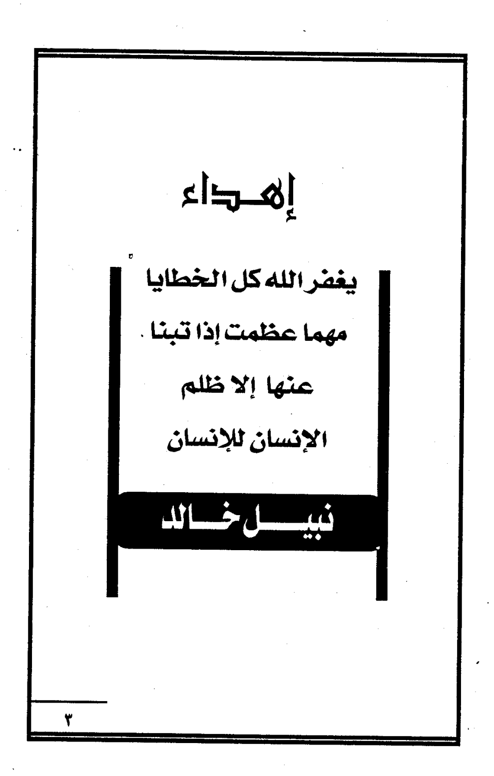
تأليف: نبيل خالد
إخراج وتصميم غلاف: علاء فتحي عجوة
اللوحه المرسومة للفنان: أحمد الجنايني
رسوم داخلية للفنان: أحمد عبد العزيز

رقم الإيداع: ٢٠٠٢/٩٢٠٨م

الترقيم الدولي: I.S.B.N: 977 - 6039 - 42 - 1

تليفون: ٠١٢٢٣٧٤٠٥٦٧ ـ ٠١٢٤٨٤٠٥٣٩

دار الجزيرة للطباعة
المنصورة نوسا البحر ت: ٠٥٠/٤٣١١٩١
المراجعة الشاعر: أ. السيد الخيارى
جمع كمبيوتر: نهى القماش



إهـداء

يغفر الله كل الخطايا
مهما عظمت إذا تبنا .
عنها إلا ظلم
الإنسان للإنسان

نبيـل خـالد

فى نهاية الرواية
رؤيه نقدية للناقد

بقلـم النا قــد

علــي عبدالفتــاح

الناقد بجريدة الرأي الكويتية

الفصـــل الأول

ليلة غير عادية!؟

إنها الليلة التى سيفاتح فيها الأب أســرته بأمر خطير جدا !؟

هكذا قال : وترك لهم الحيرة واللهفة لمعرفة ما سيقوله!؟

جاء الموعد المحدد واجتمعت الأسرة.

الأب يجلس على مكتبه فى حاله توتر.

على الكراسى الجلد ية المحيطة بالمكتب يجلس أولاده سمير أخصائى إجتماعى فى السجن ونور طالب شرطه فى السنة النهائيه وعادل فى السنة الثالثه بكلية التجارة وأمانى فى السنة الثانيه بكليه الإعلام.

أما الزوجةتريهام فتجلس فى مواجهته تماما .

نظر الجميع لرب الأسرة . ماذا سيقول.

بدأت الكلمات تخرج من فمه:

هناك امرأة غيرت مسار حياتى!؟

انها لواحظ!؟

لقد أحببت لواحظ أكثر من نفسى

خرجت كلمة استنكار من زوجته صارخه

ـ ماذا تقول.

نظر لها هيثم نظرة ناريه فتوارت فى الكرسى وسكتت وأكمل كلامه

- سأحكى لكم قصتى مع لواحظ وما كنت أود أن أحكيها قط . هل تعرفون لماذا. لأنها ستعلمكم أشياء ليست بسيطة. أهمها هى انكم لستم جميعا أولا زوجتى ريهام ورغم أننى لم أتزوج غير أمكم ولكن يعيش بينكم..

سكت عن الكلام وأخرج منديله ليجفف دموعه ثم توجه إلى زوجته وقال لها

(ستكونين طالقا منى ياريهام لو كشفت عن الدخيل على أولادك.)

إحترمت زوجته الدموع التى لم يعد المنديل يلاحق تجفيفها وقالت له

- لم يكن هناك ما يدعو لهذه اليمين فأنا احترم كلامك أكمل هيثم كلامه:

- انتم النين اجبرتمونى أن أحكى وأفشى سرا كتمته سنوات طويله . نظر إلى عادل وقال له

- تظن أننى لا أعرف أنك غررت بجارتك الصغيره وانها حملت منك وأنت تتهرب منها. إنك أحد أسباب افشائى السر

نظر له عادل وكتم أنفاسه لقد ظن أنه الدخيل ولكن الاب أكمل كلامه بعد نظر إلى سمير وقال له.

ـ تظن أننى لا أعرف كيف تحتقر المساجين رغم أنت المسئول عن معرفه مشاكلهم. إنك احد اسباب كلامى هذا.

لم يعقب على كلامه فأكمل قائلا بعد أن نظر إلى ابنه نور .

ـ وأنت يانور ستصبح ضابط شرطة ومن الآن تتكبر على الناس.

وضربت بائعا فى مثل سنى .

لم يرد ابنه فنظر إلى ابنته أمانى . تتهمين الخادمه المسكينه ظلما بانها تسرق احتياجاتك وبينما أنت المهمله.

تنهد الأب وقال لهم

ـ فكرت كثيرا فى أن أعلمكم ولكن مهما قلت لكم من كلام فلن يكون مؤثرا مثل حكاية حبى للواحظ.

سرح بفكره وقال لهم

ـ لواحظ كانت فتاة جميله جدا من قريه صغيرة إتنافس شباب القريه فى حبها ولم تبال بأحد منهم سوى شاب طيب اسمه جميل انجذبت له وأحست أنه الرجل الذى سيسعدها غير أن شابا آخر اسمه عطا وهو من الشباب الفاسد الشقي كان يود أن يجعلها خليله له فهو شاب دالله أبوه الغنى وعندما كبر فشل فى السيطرة عليه. رآها عطا يوما تملأ جرة ماء فقرصها فى صدرها فوقع الإناء من فوق رأسها وعندما حاولت أن تصرخ دس سلاح مطواة فى جنبها وقال لها

ـ سأقتلك

نظرت له فى رعب وسألته

ـ ماذا تريد منى

نظر لصدرها الجميل وقال لها

ـ أريدك

نظرت له بتحد وقالت بصوت خافت

ـ ماذا تريد ! تكلم

ـ أنا أحبك

خرجت منها ضحكه ساخره وقالت له

ـ مثلك لا يعرف الحب بل يعرف الفاسد ات

دك المطواه ببطء فى جنبها فتألمت وقالت له

ـ أبعد السلاح أحسن لك

ود مد يديه ليقطف الثمرتين اللتين نضجتا على صدرها ولكنه خاف إن يراه أحد فقال لها

ـ فى المساء أريدك فى غرزه عباس

نظرت له نظرة ناريه وقالت بصوت مرتفع نسبيا

ـ موتى أحسن

نظر حوله وخاف أن يلاحظه أحد فقال لها

ـ سأتركك ولكن غدا ستقبلين بلغتى حتى احبك شهقت وقالت له

ـ أبعد عنى أنت ولقح جتتك على غيرى رجع لها وكاد أن يقتلها ولكنه نظر لشفتيها اللتين زاد لونهما أحمرار اوكأنهما يناديان على المشتاق .

استبدل رغبته فى قتلها برغبة أخرى فى احتضانها وليكن ما يكون وقا ل لها.

ـ ماذا يعجبك في جميل إن اسمه جميل وفعله قبيح اقترب منها فقالت بصوت عال قليلا

ـ اذا لم تبعد سأصرخ وألم عليك الناس

لم تخف هذه المرة من قرن الغزال الذى يحمله وأكملت كلامها

ـ موتنى أنا أهه

تلفت من حوله وخشى أن يكون قد سمعه أحد فيخبر أباه فتركها وسار مسرعا وهو يقول

ـ يالواحظ إن ماجر يتك ورايا ميبقاش إسمى عطا.

ويصق فى الأرض بصقه كبيره.

لواحظ وصلت بيتها وافرغت إناء الماء ووقفت فى المرآه تعدل نفسها أزاحت العصبة من على رأسها ففر شعرها لأسفل ناعما كالحريروبه حمرة تزيده تألقا. يود ان يصرخ فيها . لا تحبسينى واتركينى حرا أطير مع الهواء وأحلم كما أشاء ولكن تقاليد القريه تمنع أن تترك فتاه شعرها مكشوفا. نظرت لواحظ لصدرها الذى قرصه عطا وقالت بصوت هامس.

ـ جته خابط فى إيده

والقت نظره أخرى على صدرها وأحست بجماله فمسحت بيديها عليه كأنها تريد أن تمحو آثار يد عطا إنها ستلقى حبيها جميل بعد دقائق وخافت أن يعرف أن يد عطا قد زارت صدرها . مسحت صدرها بشده وهى تقول.

ـ يبليك بشلل فى يدك ياعطا

انزعجت عندما سمعت صوت أمها يناديها ولما تأخرت وجدتها أمامها فخشيت أن تكون قد قرأت أفكارها فسألتها.

ـ ماذا تريدين

قالت أمها

ـ إذهبى إلى دار أم جميل وقولى لها أمى تريدك

فرحت لواحظ أنها كانت ذاهبة بدون سبب فهما أقارب والود متصل من زمن طويل بينهما . قالت بفرحة

ـ حاضر يا أمه

خرجت لواحظ تكاد أن تطير من على الأرض ويهتز جسدها مثل طائره أوشكت على الإطلاع وما أن وصلت لبيت أم جميل حتى طرقت الباب كأنها تعزف قطعه موسيقى وفتح الباب جميل فلفتت وجهها عنه خجلا فقال لها

ـ من لواحظ آهلا وسهلا . إتفضلى.

دخلت خلفه واحست ان الدار خاليه فقالت له

ـ اين خالتى

رد جميل كأنه يغنى

ـ صعدت فوق السطوح وستنزل حالا

قالت بتردد

ـ سأصعد لها

لم تكن صادقه فى قولها هذا فهى تتمنى أن تجلس معه بمفردها وكأنه قرأ ما تفكر فيه فأمسك بيدها قائلا

ـ إجلسى يالواحظ لنتحدث سويا
تقفزت كأن ثعبانا قرصها وقالت
ـ ياخبر ايه اللى بتعمله ده
أمسك يدها مرة أخرى كأنه يود لو تحدث بيده لا بلسانه
وقال لها
ـ أنت تعرفين غرضى يالواحظ
نظرت له بحنان ولم ترد فأكمل هو كلامه
ـ أنا أحبك يالواحظ ! فاهمة
فأحنت رأسها لأسفل وقالت
ـ وبعدين
قال جميل
ـ وساظل أحبك طول العمر.
اغتاظت منه فهى تريده أن يحدثها فى زواجهما حتى تتخلص من مضايقه عطا ورذالته فلم تعقب وقالت.
ـ خالتى تأخرت. أنا زاهبه
قالت هذه الكلمه والتفتت نحوه فضمها بقوة وقبلها فانفلتت منها آهه وقالت
ـ عيب ياسى جميل
فأرجعها لأحضانه وهى تحاول أن تتخلص منه وانخلعت طرحتها فكادت تبكي على حالها رغم أنها فرحه بحب جميل لها وقالت بحنان
ـ عاجبك كده

سمع صوت أمه وهى تتحدث من فوق السطوح مع جارتها فخاف أن تلمحهما فتراجع قائلا

ـ اعدلى نفسك إمى جاية

عدلت هندامها وقالت له بعتاب

ـ ماذا استفدت مما فعلت

حركت الكلمه اشجانه وود أن يحتضنها مره أخرى لكنه تماسك

وقال لها

ـ هل تتزوجيننى يالواحظ

أخيرا نطق بالكلمه التى انتظرتها طويلا فى هذه اللحظه تمنت أن تحتضنه هى وتقبله هى لكنها احنت رأسها فى خجل فقال جميل

ـ الليله ستخطبك أمى

ابتسمت لواحظ وهى ما تزال تحنى رأسها

نزلت أم جميل من فوق السطوح وما أن لمحت لواحظ حتى قالت لها

ـ كيف حالك يالواحظ

قالت والخجل مازال يسيطر عليها

ـ بخير يا خالتى . أمى كانت تريدك أن تزوريها

فرحت لواحظ وكان جسدها ينتفض من الفرحة والخجل وما إن وصلت إلى دارها حتى دخلت حجرتها وألقت بجسدها على السرير وراحت تحلم بفستان الفرح والطبل والزمر فهى

وأمها لم يفرحا منذ أن مات أبوهـا وتركهما يجاهدان فى الحياه بمفردهما.

حدث المتوقع وخطبت أم جميل لواحظ لإبنها وظلت لواحظ تحلم بيوم الخميس الذى سيعلن نهاية الاحزان وبداية أفراحهما وجاء الخميس ليس خميسا كأى خميس لكنه بشمس مشرقة اكثر وبأشخاص جدد رغم أن ملامحهم لم تتغير وأسماءهم لم تتغير لكن لواحظ وجدتهم مختلفين . حتى الوجوه القبيحة رأتها جميله واخلاق عطا الفاسده تغيرت فى نظرها حتى انها عزمته على خطوبتها ورأت الشرر الذى يتصاعد من عينية طاقة نور تهديه للخير وظلت بنات جيرانهم يطبلن ويزغردن كل ليله إلى أن جاء الخميس فأحست انها اصبحت لواحظ أخرى. أجمل وأبهى وأحلى من لواحظ القديمة جلست على الكرسى بجوار جميل لا تسمع من الهيصه الا صوته هو ويقول لها

ـ مبروك يالواحظ.

ردت بصوت يزغرد

ـ الله يبارك فيك

وقال جميل كلاما كثيرا قال

ـ انه اسعد يوم فى حياته

وقالت له

ـ وأنا كذلك

وظلا يتناجيان ولا يشعران بالمعازيم والبسها الشبكه وأحست وهى تلبس دبلته أنها حقد دخلت التاريخ.

الفصل الثاني

لم ينم عطا ليله الخميس . هذه البنت الهلفوته تتحداه وتخطب لجميل ألد اعدائه. كيف حدث هذا. ترك داره وخرج لا يلوى على شيء إلى أن وصل لغرزه شفعات وهي سيدة تصير فى الظاهر قهوة وفى الخفاء وكر ا لبنات الليل وطالبى المتعه الحرام. دخل عطا الي الغرزه واستقبلته شفعات قائله.

ــ وش القمر والا وشك

اخرج الهواء كالحاوى الذى يخرج النار من فمه واندهشت وقالت له

ــ مالك كفايا الشر

لم يرد وتركها فسارت من خلفه قائله

ــ تعال وأنا انسيك الهم والفكر واريح بالك دخل حجرتها وهى حجره لا يدخلها سوى من تختارهم فقط أما باقى الزبائن فيدخلون فى مكان آخر مع نساء ساقطات . أما هى فتعتبر نفسها فى مستوى أعلا شأنا منهن فهن يلتقين بالرجال على مدار الأربع والعشرين ساعه أما هى فقد يمر أسبوع بالكامل ولا

تعاشر رجلا .
القى عطا بنفسه على السرير فارتمت شفعات عليه قائلا
ــ انتظرى قليلا
ابتعدت وظلت عيناها معلقتين عليه أخرج سجاره وراح يسحب منها الدخان كأنه يشرب الهم وقامت شفعات فأحضرت زجاجه خمر وفتحتها وصبت في كوبين وحملت الكوب اليه فأخذه فى صمت وراح يرشف منه ببطء وجذبها نحوه فقالت له بدلال
ــ بالراحة ياخويا
لكنه هجم عليها كما يهجم الجوعان على طبق الطبيخ وتملصت منه
قائله:
ــ لازم أعرف ماذا يشغل بالك؟
فكر قليلا وقال لها
ــ مشكله لو لم أحلها سأموت
كتمت شفتيه بقبله وهى تقول
ــ بعد الشر
حاولت شفعات ان تنسيه همه فهى تحبه لأنها تعشق هذه النوعيه من الرجال الذين ينطلق الشر من داخلهم كأنه ضمن نسيج لحومهم . ولم يخبرها بشىء ولكنه طلب جوزة وحشيشا وشرب إلى أن سقط من الإعياء.

عطا يتحين الفرصة لمقابلة لواحظ . إنه يريدها حتى لو تزوجها فهو أغنى من جميل بكثير جدا !اليس هو الغنى ولكن والده هو الغنى ويأخذ ما يريد ولو لم يكن برغبة أبيه فمن الحنضره من الحسابات أخيرا لمحها عائده من قيراطين الأرض اللذين تزرعهما مع أمها فتقدم منها قائلا

ـ أريدك يالواحظ

نظرت له بخوف وقالت له

ـ ماذا تريد إبعد عنى

قال وهو يطمئنها

ـ لا أنا عقلت خلاص

قالت باستهتار

ـ وهل العاقل يعاكس الفتيات هكذا

قال بلهجة طيبة

ـ أنا لا أعاكسك ولكن أنا أحبك جدا

نظرت له وأرته الدبله التى تلتف حول أصبعها قائله

ـ الم يصلك خبر خطوبتى

اقترب منها فصاحت

ـ ابتعد ياعطا

ابتعد وهو يقول

ـ أريد أن أتزوجك

ـ أنا مخطوبه الا تفهم

ـ اتركيه وسأتزوجك

ـ أنا لا أريد أن أتزوجك

صرخ بألم

ـ ترفضينني من أجل الهلفوت جميل

صاحت فيه

ـ جميل سيدك

صفعها على وجهها فصرخت خاف أن يراه أحد فابتعد عنها وهى تسبه

عادت لواحظ لبيتها وهى غاضبةووجدت خطيبها يجلس مع أمها فتركتهما ودخلت حجرتها فدخلت أمها خلفها فسألتها

ـ لم لم تسلمى على جميل

قالت بقرف

ـ أنا تعبانه اتركينى وشأنى

تركتها وخرجت لجميل وقالت له

ـ سأعمل لك شايا

دلفت للداخل وخرجت لواحظ من حجرتها فناداها جميل

ـ مالك

قالت بغضب

ـ عطا يعاكسنى

صعد الدم لرأسه وقال بغضب

ـ ماذا تقولين

أحست أنها تسرعت فعطا شقى وجميل مسالم ولو نشبت معركه بينهما فسيهزم جميل وقد يصاب بأضرار كبيرة. قالت له

ـ أقصد أنه كان يعاكسنى قبل أن تخطبنى
قام جميل واقفا وقال
ـ ولو لازم يقف عند حده
حاولت أن تمسك بيده دون جدوى وحضرت أم لواحظ على صوتهما ومعها صينية عليها أكواب الشاى وقالت
ـ مالكم
رد جميل
ـ لازم عطا يتربى
لم تفهم الأم شيئا فقالت لابنتها
ـ هو فيه إيه
تركتها لواحظ وهى تقول
ـ أنا عارفه.. ربنا يستر.
خرج جميل قاصدا بيت عطا وسأل عنه فلم يجده فسأل عن مكانه فلم يدله أحد. وسأل فى البلده عنه فقيل له إنه يقضى وقته الآن فى غرزة شفعات فى أطراف البلد اتجه جميل نحو عطا فى الغرزه وصاح فيه
ـ ألن تتربى ياعطا وتلزم حدودك
كان عطا مسطولا فقال ببطء
ـ عايز ايه ياولا
احمر وجه جميل وقال
ـ أنا ولا ياقليل الأدب
ـ انتبهت شفعات لصوت جميل المرتفع فصاحت

ـ فيه إيه

صاح جميل

ـ النطع ده قليل الأدب

امسكت شفعات بيد جميل وأجلسته وسألته

ـ ماذا يغضبك

قال جميل بقرف

ـ الواد عطا يعاكس لواحظ

ضحكت شفعات وقالت له

ـ هل تغار عليها

ضحكت شفعات وقالتها وفى قلبها حقد على لواحظ لقد حاولت اغواها باغرائهاللعمل عندها بعد وفاه والدها ولكن لواحظ رفضت .

رد جميل

ـ لو لم احافظ عليها لا استحقها

قالت شفعات وهى تضغط على يد جميل

ـ أترك لى هذه المسالة وأنا سأجعل عطا يعقل .

خفت حدة غضبه وقال لها

ـ الف شكر ياست شفعات

ابتسمت له وقالت

ـ ما تقعد تروق مزاجك

أشارت إلى الجوزة فقال جميل

ـ معلش ياست شفعات أنت عارفه أن مليش فى

الحاجات دى غمزت بعينيها قائله عندى بت زى فلقه القمر إيه رأيك.

ضحك جميل ا وقال لها

ـ عن إذنك ياست شفعات أنا ماشى

خرج جميل وسحبت شفعات عطا إلى الداخل وحاولت إفاقته بدون جدوى فنامت بجواره بدأ عطا يفيق من سكره فقال لها

ـ ماذا فعلت

ضحكت وقالت

ـ لواحظ البنت الهلفوته تعمل فيك كده.

ـ وانت ايه اللى عرفك

ضربت يدها على صدرها وقالت

ـ محسوبتك شفعات لا يخفى عليها شىء

قال لها بعد يأس من معرفه من الذى قال لها

ـ أنا لا أحبها ولكن تحديها لى استفزنى فكر قليلا وقال لها.

ـ أريدك أن تأتى بها لى

قالت بفزع

ـ نعم!!

قال بجدية

ـ أريد أن أنالها فقط فاهمه

ضحكت وقالت

ـ حاضر لازم أدوقها لك . هى بنت عنيده ومسمعتش كلامى زمان ولارضيتش تشتغل معايا. هى الوحيده اللى عصلجت.

جذبها عطا وقال لها.

ـ يعنى مش راح تعرفى تجيبيها

قبلته وهى تقول

ـ غدا ستكون عندك . على شرط

ـ ما هو.

ـ بعد أن تنالها تتركها تعمل معى

جذبها إلى أحضانه بقوه وقال لها

ـ بعد أن أنالها إفعلى ما شئت

اخمرت الفكره في رأس شفعات دبرت الخطه.. إنها ستسحبها إلي منزل امرأه مطلقه تعمل معها فى السر وينتظرها عطا فيغتصبها ثم يتركها فريسه لها. لكن ماذا ستقول لها . آه ستصحبها بين الأرض التى تزرعها ومنزل المرأة المطلقة فى الطريق.

وقفت شفعات تنتظر عودة لواحظ من الأرض وعندما لمحتها صاحت

ـ آه يابطنى . الحقينى يالواحظ

هرعت لواحظ لها تسألها.

ـ مالك ياست شفعات

قالت شفعات بألم

ـ بطنى راح تتفرتك. اعملى معروفا وصلينى لبيت الست أنوار

ـ طيب ما أوديك الوحده الطبية أحسن!

انزعجت شفعات وقالت

ـ ست أنوار قالت لى عندها دوا للمغصى أخذه الأول يريحنى إستندت شفعات إلى زراع لواحظ إلى أن وصلا إلى بيت أنوار فقالت لها

ـ دخلينى يابنتى

دخلت معها . وقالت أنوار التى كانت تعلم بالخطه

ـ أقعدى يالواحظ

انسحبت لواحظ قائله

ـ أنا إتأخرت

قالت شفعات

ـ إجلسى خمس دقائق لتوصلينى إلى الوحدة الطبيه

جلست لواحظ فى الغرفه على مضض وخرجت شفعات مع أنوار وبعد قليل دخل عطا قائلا.

ـ أهلا ياروحى

فزعت لواحظ وتراجعت إلى الخلف قائلة

ـ قف عندك أو أصرخ والم عليك البلد

تقدم عطا غير مبال وقال لها

ـ ستصرخين من هنا للسنة الجاية المنزل فى

أطراف القريه ولن يسمعك أحد
وصل عطا اليها وأمسك بها وجذبها له وفى يده قرن غزال وقال لها
ــ لا فائدة من المقاومة
قالت بفزع
ــ ماذا تريد
قال وعينه تفضح شهوته
ــ أريد أن أنالك
قالت بصراخ
ــ أنت مجنون . أنا مخطوبة ولا أريد أن أتزوجك
ضحك باستهتار قائلا
ــ وأنا لن أتزوجك
إرتاحت قليلا وقالت
ــ إذن ماذا تريد
قال وهو يحتضنها
ــ أريد أن أعاشرك فأنا اشتهيك
حاولت أن تفلت دون جدوى . طرحها أرضا ورقد فوقها وهي تحاول أن تستغيث بدون جدوى.
لم يتركها الا بعد أن حقق هدفه.

الفصـــل الثالث

لواحظ فى بيتها ساهمة واجمة . حتى الدموع كانت محرمه عليها. قد تشاهدها أمها وتسألها .. تدخل بين حين وحين لحجرتها لتنتحب وتبكى بحرقة. ثم تمسح دموعها وتخفى حزنها وتخرج. وخرجت لتجد خطيبها أمامها. قال لها بفرح:

ـ خلاص أنتهت مشكلتك

نظرت بحزن وقالت :

إن مشكلتها لا حل لها

قال لها:

ـ عطا لن يضايقك بعد.

لقد نال كفايته وبالفعل لن أراه بعد أن صمتت فأكمل كلامه.

ـ لقد ذهبت إليه ومسحت به الأرض أمام شفعات وقد كان يجلس أمامى كالأرنب

ضحك عاليا ولم يلمح ما يلم بها من ألم ثم اتجه إليها وسألها:

ـ لماذا لا تعلقين على كلامى ألست فخورة بى صرخت فى وجهه

ـ أسكت! كفى

إنبهر بتصرفها المفاجىء وقال لها:
ـــ ماذا حدث؟
قالت بغضب:
ـ لم يحدث شيء .. أريد أن أجلس بمفردي سألها وكأنه لا يصدق.
ـ هل تطردينني؟
إستمرت في غضبها:
ـ أمي غير موجودة. وتصرفك هذا لا يليق كذب أذنيه وقال لها:
ـ أنا خطيبك
خلعت الدبلة وقذفتها قائلة:
ـ وأدي الدبلة أهي
أمسك بها وسألها
ـ ماذا حدث لهذا كله؟
قالت بصوت غاضب:
ـ أتركني لا تلمسني
تركها وخرج وهو يقول
ـ عندما ستحضر أمك سأتصرف معها
خرجت لواحظ . وفي الطريق قابلتها شفعات فقالت لها:
ـ أريدك يالواحظ
نظرت لها لواحظ نظرة نارية وقالت لها:

ـ يامجرمة ياسافلة.
ـ تعالى أعملى معى ليتبدل حالك.
بصقت لواحظ وتركتها وفى الطريق قابلتها أمها فسألتها:
ـ ماذا فعلت مع خطيبك؟
قالت لواحظ بغضب:
ـ لا أريد هذا الزواج.
جذبتها من يدها وقالت لها:
ـ إتبعينى إلى البيت.
دخلا البيت . وتركتها لواحظ ودخلت غرفتها تبكي فدخلت أمها خلفها وضغطت عليها قائلة:
ـ ماذا حدث ! قولى؟
حاولت لواحظ أن تتهرب دون جدوى فاعترفت لأمها بالحقيقة . فلطمت على وجهها قائلة.
ـ ماذا سنفعل يالفضيحة.
خرجت أم لواحظ غاضبة واتجهت إلى بيت والد عطا وطرقت الباب بعنف ودخلت لوالد عطا:
ـ يا حاج طول عمرك تعرف الحق ولا تحيد عنه سألها بدهشة:
ـ ماذا حدث؟
حكت له قصة اغتصاب ابنتها وهو يكز على أسنانه من الألم وأخيرا قال لها بحزن:
ـ إطمئنى ياست أم لواحظ

قالت وهى تبكى

ـ ماذا ستفعل؟

ـ ما يفعله الله سيكون

سألته مرة أخرى:

ـ هل أخرج؟

تمنت أن يقول أى شىء يريحها وقرأ ما تفكر فيه فقال لها:

ـ غدا سأمر عليك.

خرجت وهى تبكى وبقى هو يضغط على أسنانه من الغضب ولما تأخر ابنه خرج للشرفة كأنه يتعجل قدومه. وما إن راه قادما حتى احمر وجهه وجلس على الكرسى كأنه يجلس على كومة جمر. وما إن دخل عطا حتى صرخ فيه والده بصوت عال:

ـ تعال هنا يا ولد.

توقع عطا الشر من والده فقد هدده أكثر من مرة بالطرد. دخل يقدم قدما ويؤخر أخرى فهو لا يعرف ماذا أغضب والده. وقال بصوت لا يكاد أن يسمعه هو:

ـ نعم.

قال والده بنفس اللهجة:

ـ غدا سأذهب لوالدة لواحظ لأخطبها لك عرف عطا سر غضب والده وتمالك نفسه وقال:

ـ لكنك قلت لى يجب أن أخطب إبنة عمي وقد وافقت على رأيك لأنه سديد.

صرخ فيه والده

ـ ولواحظ تعمل إيه بعد عملتك المهببة
رد عطا:
ـ ياوالدى إن لواحظ بنت لعبية وهى كاذبة
صرخ فيه والده.
ـ ياكذاب يا فاجر . اختر لك أمرا من اثنين إما أن تتزوجها أو تخرج من بيتى ولا تعود له ثانيه.

رضخ عطا لأوامر أبيه وتزوجها فى ليلة لم تكن فرحا بل مأتما فى قلبها . ولم يتحمل جميل هذا الغدر. فقد ظن أن لواحظ فضلت عطا عليه لأنه فقير والثانى غنى فترك البلدة إلى مكان لا أحد يعلمه ولم يقل لأحد عليه فى ليلة دخلة عطا أخذ عروسه إلى حجرة فى بيت أبيه ودخلت حزينه فقال لها عطا:

ـ أنا الأحسن ولا جميل:

لم تعقد مقارنة بينهما فجميل هو الحلم الرائع فى حياتها أما هذا العاطل الشرير فكابوس فرض عليها . لم ترد . فاقترب منها وقال لها:

ـ الليلة سأجعلك تحلمين به.

أخرج زجاجة خمر وصب منها فى كوب وأعطاه لها قائلا:

ـ خذى اشربى.

شمت رائحته فنفرت منها وأبعدته عن فمها قائلة:

ـ لا أريد

شرب هو وظل يهذى واقترب منها قائلا:

ـ تعالى عندى

إبتعدت وتذكرت اليوم الذى أغتصبها فيه وقالت له:

ـ إبتعد .. رائحة فمك كريهة.

صفعها على وجهها قائلا:

ـ إشربى يابنت

أخذت منه الكوب وحاولت أن تشرب ولكنها تراجعت وأمام نظراته النارية رشفت رشفة واحدة لكنه قال لها:

ـ إشربى يا بنت

شربت وهى تبكى وأطبق عليها فوقعت على الأرض وصرخت:

ـ سأختنق

لم يبال بما تقول فمزق ملابسها وأخذ منها ما أراد وهو يقول:

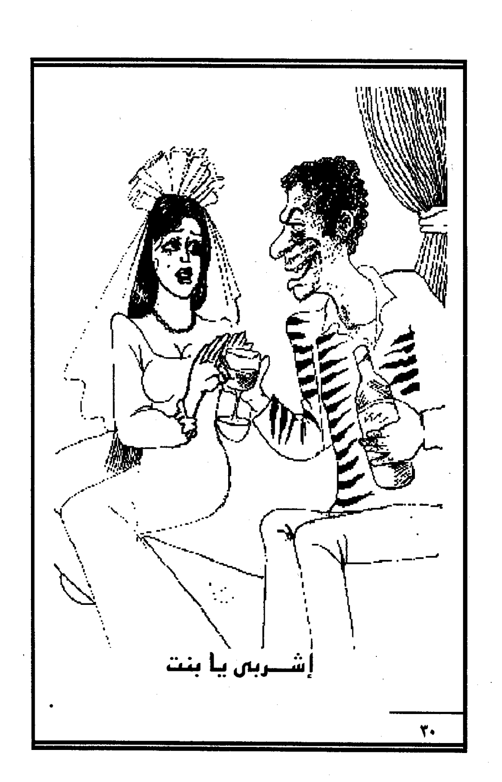
ـ ليلة ستحلمين بها.

وكانت بالفعل ليلة لم تحلم بها من كثرة الألم والحزن . تذكرت جميل وبكت وحاولت أن تنام دون جدوى. فهذه الليلة كان من المفروض أن تكون لجميل لا لهذا الشيطان إنسل عطا من جوار لواحظ وذهب لشفعات التى استقبلته غاضبة:

ـ ألم نتفق أن تترك لى لواحظ لتعمل معى قال بمرارة:

ـ ومن أتزوج. أتزوجك أنت.

دقت بيدها المنضدة من الغضب وقالت:



إشـــربى يا بنت

ـ كفى قلة أدب.

صفعها على وجهها قائلا:

ـ لن أتى لك ثانية

دفعته قائلة:

ـ روح فى ستين داهية.

خرج لا يدرى ماذا يفعل فنادى أحد الموجودين فى الغرزة. طلب منه قطعة حشيش فأعطاها له فأخذها إلى البيت وأيقظ لواحظ قائلا:

ـ قومى جهزى الجوزة

كانت قد نامت من القهر فقامت فزعة على هز عطا لجسدها فقالت:

ـ ماذا تريد؟

قال بصوت غاضب:

ـ جهزى الجوزة.

ـ أين هى ؟

أشار لها على مكانها فقامت تجهزها وهى تبكى ووضع عطا الحشيش فى الجوزة وقال لها:

ـ خذى نفسا.

رفضت بإباء فركلها بقدميه قائلا:

ـ عنك ما شربتى

بعد أن شرب دخل عليها كالحيوان فخلع ملابسها ومارس

معها ووهى لا تحس بغير بالألم والضيق والد عطا يرى أفعال أبنه وشكوى لواحظ الصامتة فهي تخدمه وتخدم أم عطا بإخلاص وأراد أن يصلح ولده وعندما دخل عليه صاح فيه:

ـ يا عطا لو كنت أعلم أنك ستكون فاسدا لما أنجبناك

صمت عطا ولم يعرف بأى كلام يرد فقال له والده:

ـ هل ذهبت لوابور الطحين.

قال عطا وهو مطاطيء الرأس:

ـ نعم ذهبت

قال والده

ـ وهل أخذت منهم نقودا

قال عطا بصوت لا يكاد أن يسمعه هو:

ـ نعم

صرخ أبوه:

ـ يا فاسد أين هذه النقود؟

لقد اشترى بهذه النقود حشيشا ولم يجد الإجابة المناسبة فقال له:

ـ أ....

قام والده وصفعه على وجهه قائلا:

ـ لو ذهبت إلى وابور الطحين أو الأرض مرة أخرى سأقطع رجلك.

تدخلت أم عطا فى الحديث قائلة:

ــ ومن يرعى مصالحك

التفت اليها والد عطا غاضبا وقال :

ــ تدليلك له هو الذى أفسده

وجه حديثه لعطا مرة أخرى

ــ خسارة فيك لواحظ

ووجه كلامه للواحظ:

ــ معلهش يابنتى حظك كده

ووجه حديثه لابنه مرة أخرى:

ــ إمش غور من وشى

أخذ عطا لواحظ ودخل غرفته وأحست لواحظ أن واجبها أن تقف بجوار زوجها. فقررت أن تقف بجواره وفى غرفتهما قالت له:

ــ يا عطا أنت الآن زوجى ويجب أن أحافظ عليك.

استكان لكلامها الناعم بعد أن سمم بدنه كلام والده فركن رأسه على صدرها وأحس أنها ستعطيه نفسها بحب بدلا من العنف الذى لا يحس من خلاله بأية متعة . رفع رأسه وقبلها وقبلته وخلصت نفسها منه وقالت له:

ــ لو طردنا أبوك لن نجد ثمن الأكل .

أنصت لها وسألها:

ــ هو لا يفهمنى

قبلته واندست فى أحضانه وقالت:
ـ من الآن ستفهمنى أنت وسأفهمك وسيفهمك أبوك.

إحتضنها بعنف قائلا:
ـ أنا أحبك يالواحظ فقد عذبتك وساعوضك عن الأيام الماضية.

عبثت فى شعر صدره قائلة:
ـ لقد نسيت فى هذه اللحظة ما فعلته وأنا الآن لا أشعر إلا بحبى لك.

خلع جلبابه وخلعت جلبابها واندسا فى السرير يتناجيان وبينما هما كذلك. سمعت دقا على الباب فارتدت جلبابها وخرجت لتستطلع الأمر فقالت لها أم عطا.

ـ يا لواحظ أمك مريضة وتريدك.

خرجت والدموع تملأ عينيها وما إن ذهبت إلى بيت أمها حتى سمعت صراخا يعلن وفاة أمها.

الفصـــل الرابع

إنصلح حال عطا أو هكذا ظنت لواحظ . فالخناقات قد قلت بينه وبينها وبينه وبين أبيه ولكن هكذا الحال لا تستمر طويلا فقد دخل يوما عليها ومعه صديق له تعرف عنه أنه من بين الذين سـأهموا فى إفساده وقال لها بصوت عال: ـ جهزى لنا الجوزة.

قالت بتبرم.

ـ لا أعرف مكانها

ترك ضيفه وجذبها من يدها إلى الداخل وقال لها:

ـ لا تفضحينى مع صديقى

ـ إنه أسوا صديق إنه الذى أفسدك

ـ طيب هذه المرة فقط.

قالت بغضب::

ـ لقد كسرت الجوزة

ولم يفلح في إقناعها فتركها غاضبا وحكى لصديقه عما جرى ، فما كان من هذا الصديق الذى أحس بخطر لواحظ على مكاسبهم إلا أن قال لعطا.

ـ حافظ علي بيتك

سأله عطا بدهشة.

ـ ماذا تقصد؟

ـ أن جميل قد عاد للقرية وقد لمحته يحاول أن يكلم زوجتك

أمسك عطا بكتفى صديقه يهزه ويسأل.

ـ وهل كلمته؟

ـ وقفت معه قليلا

ترك عطا صديقه وجري يبحث عنها ولمح لواحظ جالسه تغسل فى الطشت فلما رأته قادما حيته وداعبته لكن الشرر كان ينطلق من عينيه فأمسك شعرها وجرها إلى غرفته وسألته بفزع:

ـ مالك يا عطا؟ ماذا حدث ؟ أترك شعرى!

ركلها بقدميه وبصق عليها قائلا:

ـ ماذا بينك وبين جميل؟

إندهشت لهذا السؤال فجميل غادر القرية منذ زواجها ولم يعد بعدها وأكمل عطا كلامه:

ـ لقد راك الناس تتحدثين معه يا فاجرة

تساءلت والدموع فى عينها:

ـ وهل عاد حتى أتكلم معه.

إنهال عليها ضربا إلى أن دخل والده عليه وخلصها منه.

إنهار حال عطا مرة أخرى وفشل أبوه فى إصلاحه فمرض وأصبح لعطا نفوذ جديد وحول كل أرباح والده إلى حشيش وخمر وسهرات حلوة مع أصدقائه وبدأت رجله تعود إلى غرزة شفعات وما إن رأته حتى قالت:

ـ ماذا رماك مرة أخرى علينا؟
تناست شفعات ما فعله فيها وأخذته إلى حجرتها واحتكت به فقال لها بحماس
ـ وحشتينى قوى
خلعت جلبابها وظهر قميص نوم ستان أحمر يلتف بالكاد حول جسدها فيظهر أردافها ويجسم جسدها بطريقة جعلته يقول:
ـ يابوى أيه ده كله.
خلع جلبابه وما إن أنتهى حتى قالت له:
ـ تعرف تلعب كوتشينه.
قال بحماس:
ـ نعم
أتت بالكوتشينة وقالت له سأعلمك لعبة جديدة. وعلمته كل أنواع القمار ظل يتردد عليها إلى أن قالت له فى يوم:
ـ حتى يكون هناك مذاق للعب الكوتشينة يجب أن تكون بمقابل
قال لها:
ـ ماذا تقصدين؟
قالت وهى تقبله:
ـ نلعب على فلوس
نظر لها بدهشة فقالت له:
ـ نجرب الأول بعشرة قروش

تركته يغلبها فقال لها ضاحكا:

ــ أين العشرة القروش

جذبته لأحضانها وقالت له:

ــ عندما تغلبني تنالني.

عندما فرغ قالت له.

ــ أريد أن أعوض خسارتي

لعبت معه فكسبت وقالت ضاحكة:

ــ هات العشرة قروش ولن أصرفها بل ستظل تذكارا.

بدأ الرجال في الغرزة من أتباع شفعات يجرون رجله إلى لعب القمار ويكسب قليلا ويخسر كثيرا. وبينما هو يلعب سمع من يناديه فالتفت فوجد لواحظ ففار الدم من عروقه وجذبها إلى خارج الغرزة وسألها:

ــ من أتى بك إلى هنا؟

قالت والدموع تنهمر من عينيها:

ــ أبوك ياسي عطا.

ــ ماله

ــ يحتضر

جرى معها إلى البيت فوجد والده في نزعاته الأخيرة فارتمى تحت قدميه ووجد أمه تبكي وكذلك لواحظ فقال أبوه:

ــ لا تبكوا «...» الحياة رحلة قصيرة وأنا لا أخشى الموت ولكن كل ما أخشاه هو أنني تركت عطا فاسدا ولا آمن عليه من

الأيام وكان الله فى عون أمك ياعطا وزوجتك.

قال عطا وهو يبكى:

ـ ستعيش يا أبى وسأكون عند حسن ظنك

قال أبوه.

ـ هات يدك يا عطا.

أعطى عطا يده لأبيه فأمسك بها وقال له:

ـ عاهدنى يا عطا أن تكون صالحا.

قال عطا:

ـ أعاهدك يا أبى

قال أبوه:

ـ وتحافظ على أمك وزوجتك.

قال عطا وهو يغالب دموعه.

ـ أعاهدك

لم يمكث والد عطا إلا ليلة واحدة ومات بعدها مخلفا عطا وأمه وزوجته وأموال كثيرة . إستمر الحزن أربعين يوما بالنسبة لعطا وإلى مالا نهاية بالنسبة لأمه وزوجته فهما لا يعرفان ماذا سيفعل بهما عطا بعد أن أصبح رجلهما الوحيد.

رغم أن جميل لم يعد إلى القرية فإن لواحظ لم تكن تخرج من البيت كثيرا حتى لا يضربها زوجها وإن كان بداخلها حنين كبير إلى جميل . لو كانت قد تزوجته لما حدث لها ما يحدث الان إنها تفقد الأمان.

لم يكتف عطا بلعب القمار فى الغرزة فقد ساءت صحته

من الحشيش ونام مريضا وعندما زاره أحد أفراد شلته قالت زوجته له من على الباب:

ـ ماذا تريد؟

قال بجاحة:

ـ أريد أن أطمئن على عطا.

قالت بسخرية:

ـ اتركوه وسيكون فى حالة جيدة.

سمع حديثها عطا فقال:

ـ أدخل يابندر.

أزاحها من أمامه ودخل قائلا بصوت مرتفع:

ـ جايلك غصب عن العزول.

وما إن رآه حتى قال له:

ـ وحشت الشلة.

همس عطا فى أذنه

ـ أخبار الكوتشينة إيه

وصاح بصوت عال

ـ يالواحظ أعملى شاى

قالت بقرف

ـ الشاى خلص

قال عطا:

ـ إمشى يابت اشترى شاى

همس صديقة فى أذنه

ـ وتشترى كوتشينة

صاح عطا:

ـ بت يالواحظ اشترى كوتشينة

صرخت فيه:

ـ مش خايف لا يقابلنى جميل

تحامل على نفسه وخرج لها وصفعها على وجهها قائلا:

ـ لازم أقطع لسانك يا قليلة الأدب

قالت بغضب:

ـ ولما اشترى الكوتشينة أبقى مؤدبه

أمسك بكوز وقذفه فى اتجاهها فأصطدم بجبينها فسال الدم فأمسكتها أمه وهى تقول:

ـ أنت مجرم

رجع عطا إلى صديقة وقال له:

ـ معلهش عيشة تغم

قال صديقة

ـ ما تيجي تفرفش معانا

حاول أن يقوم فوجد أن حالته الصحية لا تسمح فقال له

ـ لماذا لا نحضر الشله هنا

نظر له صديقه فى دهشه قائلا

ـ هنا

ـ قال عطا بحماس

ـ هنا . ولن نلعب سوى هنا

أصبح بيت عطا مكانا للعب القمار وأجبر لواحظ أن تخدم الموجودين.. ولم تتحمل أم عطا هذه المأساة فوجدوها فى أحد الأيام مكفية على الكنبة وقد فارقت الحياة وبوفاة والدة عطا إزداد توحشا.. فقد نقل جميع رواد غرزة شفعات إلى بيته وقال لشفعات ضاحكا:

ـ إعتبرى بيتى غرزتك.

وجدتها شفعات فرصة لسحب المزيد من أمواله فقد باع معظم أرضه فقالت له:

ـ عامل إيه مع البت لواحظ

قال بقرف:

ـ وش فقر دايما بوزها طوله متر

قالت شفعات وقد التمعت عيناها:

ـ نحب تغير

نظر لها وقال:

ـ البركة فيك.

قالت شفعات:

ـ نحول القعدة فرفشة ونجيب كام بت صغيرة نحلى بيهم.

قال عطا متحمسا:

ـ ماشى كلامك.

قبل شفعات وقال لها:

ـ الليلة تعالى اسهرى معانا علشان تعاينى

المكان.

ذهبت شفعات وسلمت على لواحظ وهى تقول بلبانتها التى تلوكها.

ـ إزيك يا لواحظ

عاينت جسدها وتحسرت فى داخلها على ضياع لواحظ منها دخلت للغرفة المخصصة للعب القمار وقال عطا للواحظ:

ـ اعملى شاى لست شفعات.

خرجت لصنع الشاى وقالت شفعات:

ـ باين عليها نكدية لا ياحبيبى لازم أروقك هو احنا عندنا كام عطا.

جذبها إليه محاولا تقبيلها فابتعدت وهى تقول:

ـ البت لواحظ تشوفنا.

قبلها وهو يقول:

ـ تشوف جاتها العمى

دخلت لواحظ بالشاى وضبطتهما ولم تستطع أن تنطق فخرجت مسرعة وقالت شفعات لعطا:

ـ عاجبك كده

جذبها مرة أخرى وقبلها فانفلتت وخرجت وهى تفكر فى لواحظ . لقد صممت على أن يفلس عطا لتضرب عصفورين بحجر واحد تستفيد من أمواله وتقنع لواحظ بالإنحراف.

بعد خروج شفعات دخلت لواحظ غاضبة على زوجها وقالت له:

ـ أنت مش راجل.

فوجيء بالكلمة وصاح فيها.

ـ إنت اتجننت يابت

صاحت وهى تبكى

ـ البلاوى بتاعتك تعملها برة البيت

قال وكأنه لم يفعل شيئا:

ـ بتتكلمى عن إيه.

قالت وهى تبكى.

المره القذرة اللى اسمها شفعات متخشش بيتى

جذب العصا المركونة على الحائط وخافت لواحظ فتراجعت قائلة:

ـ لو لمستنى راح أصرخ وألم عليك الناس

شدها من شعرها وهو يقول:

ـ لو فتحت بقك راح أذبحك

نظرت له متوسلة بنظرتها ألا يضربها فقال لها:

ـ دا بيتى أعمل فيه اللى أنا عاوزه فاهمة

حركت رأسها موافقة فقذفها بعيدا وقال:

ـ جتك البلا

تركها عطا وراح يفتش فى الدرج على عقد وابور الطحين ولما وجده دسه فى جيبه فقالت له لواحظ:

ـ ماذا ستبيع لم يعد لنا ملكا سوى وابور الطحين وهذا البيت.

نظر لها نظرة نارية فسكتت وخرج متوجها لغرزة شفعات



شدها من شعرها وهو يقول:
لو فتحت بقك راح أذبحك

ووجد بندر صديقه فقال له:

ـ عايز أبيع وابور الطحين متعرفش مشترى «؟»

التمعت عينا بندر إنه سيحصل على عمولة كبيرة فقال له:

ـ غدا سأجد لك مشتريا.

قال عطا:

ـ لا اليوم أريد المشترى . ليس معى نقود

قال بندر:

ـ لكنك ستبيعه رخيصا

ـ ولو «...» أريد مالا بأية وسيلة.

قال له بندر:

ـ إنتظر هنا وساتيك بالمشترى

تركه بندر فترة وعاد بعد ساعة وقال له:

ـ تعال معى.

ـ إلى أين؟

جذبه بندر إلى رجل عاش عمره يتمنى أن يشترى وابور الطحين وكم من مرة عرض ثمنا غاليا جدا على والد عطا ولكنه كان يرفض والان جاء عطا ليبيعه بربع ثمنه.

قبض عطا الثمن وخرج إلى غرزة شفعات وقال لها:

ـ الليلة سنسهر فى بيتى

قالت تستطلع الأمر:

ـ معاك فلوس؟

فتح الحقيبة فوجدت رزما من النقود فقالت له:

ـ الليلة سهرة للصبح.

فى المساء كانت شلة القمار موجودة والحشيش يمر على الحاضرين . ولواحظ تجهز لهم الشاى والأكل وفى الصباح كان عطا قد خسر كل نقوده ولم يعد فى البيت مليم فنام حزينا وقال لزوجته:

ـ غدا ساعوض خسارتى

قالت بسخرية:

ـ ماذا ستبيع . لم يعد ملكنا شىء

قال بتنهد:

ـ هذا البيت سيباع بثمن كبير

صرخت فيه:

قال كأنه يحلم:

ـ لا سأعوض كل خسارتى

حاول أن يقبل زوجته فقالت:

ـ ابعد عنى أنا متعبة طول الليل أخدم الشلة وفى الصباح تخسر كل فلوسك وهم يلهفونها.

جذبها بقوة قائلا:

ـ بكرة راح أغرقك فى الفلوس

حاولت أن تبتعد ولكنه كبس على أنفاسها فكادت أن تختنق فقالت مجبرة

ـ انتظر

مارست معه هى لا تشعر بمتعة ولكن تفكر فى مصيرها المجهول. هل لو كانت مع جميل . آه يا جميل أين أنت لماذا

تركتنى ليتنى ما حكيت لك عما فعله معى عطا. بالقطع كنت ستنقذنى من ورطتى . طول عمرك وأنت تنقذنى لماذا تخلفت فى نهاية المشوار وتركتنى فريسة بلا ثمن.

فى الصباح كان عقد البيت فى جيبه يعرض بيعه على أى مشتر وبالطبع صديقه بندر أنقذه وباع له البيت بربع ثمنه . وحمل النقود وعاد إلى بيته وقد أعطاه المشترى مهلة ثلاثه شهور قالت له زوجته:

ـ أين سنعيش بعد أن بعنا البيت.

قال عطا وكأنه وجد الحل:

ـ سأكسب الليلة وسنشترى عزبة

قالت بمرارة

ـ وإن لم تكسب.

قال بنرفزة.

ـ وشك فقر قولى كلمة حلوة فولتى عليه

إقتربت منه وقالت له:

ـ طيب عندى فكرة

ـ ما هى؟

ـ إحجز نصف المبلغ لو خسرت نشترى به بيتا أقل ثمنا

فكر قليلا وأخرج عدة رزم من النقود وقال لها:

ـ إحتفظى بهؤلا معك

فرحت وأخذت منه النقود

فى المساء انعقدت شلة القمار وفى نهاية الليلة كان عطا قد

خسر ما معه فصاح فى زوجته:

ـ هاتى الفلوس اللى اديتها لك

قالت بإصرار:

ـ لا إلا توجد فلوس

قام ولوى نراعها فصرخت وقالت:

ـ حاضر راح أجيبهم.

قامت وأعطته المال وقد حجزت ربع المبلغ دون أن يدرى وخسر عطا كل ما معه وانصرفت الشلة ونام عطا وزوجته فى حزن يفكران فى مصيرهما المظلم.

فى اليوم التالى خرج عطا إلى القرية يتفحص بيوتها لقد كان له فى هذه القرية بيت «..» ومر على وابور الطحين لقد كان ملكه يوما ما. وما إن رآه أحد عمال المطحن حتى صاح يناديه:

ـ ياسى عطا اتفضل.

ذهب عطا إليه كأنه يريد أن يعود الزمن للوراء ويعود له وابور الطحين فقال له العامل:

ـ لقد سمعت أنك بعت البيت. ماذا ستفعل؟

قال عطا:

ـ لا أدرى

قال العامل:

ـ ما رأيك لو ذهبت للعريش وأحضرت بضائع مستوردة من هناك وبعتها هنا. لقد فعلها جميل

وأصبح له ملك كبير .

سمع عطا اسم جميل فاغتم ولكن الفكرة ستنقذه مما هو فيه.

فسأل عطا:

ـ هل لا توجد سوى العريش يمكن التجارة منها

قال العامل:

ـ توجد رفح وخذ هذا العنوان لصديق لى لو سافرت سيساعدك كثيرا.

انصرف عطا يفكر فى هذه الفكرة وما إن وصل البيت حتى حكى لزوجته عما سمعه من العامل دون أن يذكر اسم جميل لكنه قال:

ـ آه. لو كانت معى نقود لكانت لى تجارة عظيمة أعوض بها ما فقدته.

سألته لواحظ:

ـ والقمار

قال بقرف:

ـ توبه لا قمار ولا حشيش

قالت لواحظ:

ـ إذن اطمئن معى ثمن البضاعة

ـ أين هى؟

ـ لا لن تأخذها إلا فى رفح.

جذبها نحوه وخلع جلبالها وغطس داخلها وهو يقول:

ـ أنت أحسن شىء فى حياتى لا أنت أحسن منى إخص عليه.

الفصــــل الخامس

لأول مرة تخرج لواحظ من قريتها . سارت بجوار عطا فى ذهول إلى أين سيقودها مصيرهما . بكت لواحظ فقال لها عطا:

ـ ماذا يبكيك؟ افردى وجهك.

قالت وهى تجفف دموعها:

ـ ماذا كان سيحدث لو احتفظت بأموالك وجنبتنا هذا المشوار المجهول والذى لا نعرف ماذا سيحدث فيه.

نظر لها ولم يعرف ماذا سيفعل للحصول عليها.

وصلا من قريتهما إلى الإسماعيلية ووقفت تائهة فقد سمعت كثيرا عن المدينة الجميلة لكنها لم ترها من قبل رغم أنها قريبة من قريتهما. وصلا إلى منتصف المدينة حيث محطة الأتوبيسات والتى سيستقلان منها أتوبيسا إلى رفح . وبينما هى سارحه فيما حولها التفتت فلم تر عطا ، تسمرت مكانها . ماذا تفعل؟ هل خدعها وسيسافر بمفرده ويتركها فى هذه المدينة وحدها . ماذا ستفعل بمفردها؟ شفعات حاولت كثيرا معها قبل خطبتها لجميل وقبل زواجها من عطا وبعد أن أفلس عطا كانت تعدها بالمال الكثير وتحقيق كل الأحلام التى تتمناها . فكرت فى كلامها كثيرا وأوشكت أن تجاريها فكثرة كلامها قدقلبت حالها

ولكن فى أخر لحظة كانت ترفض وتتمسك بشرفها.

لقد رفضت بيع جسدها فى بلدها فهل ستبيع جسدها فى هذه المدينة وهل توجد هنا شفعات لقد وعدتها شفعات إذا وافقت على العمل معها أن تأخذ لها بيتا فى المدينة وستسافر إلى أكثر من مدينة لتعاشر الأغنياء ويعطوها الهدايا والأموال أستعاذت بالله من الشيطان وقالت فى نفسها سأموت ولن أبيع جسدي أبدا.

وبينما كانت دموعهاتنساب على خدها إذا بعطا يصرخ فيها

ـ أنت يا بجم ألا تسمعين؟

لفتت نظرها فوجدت عطا .. إنه عطا بشحمه ودمه إذن هى لم تته. كادت أن تحتضنه لقد أنقذها من المجهول وقالت:

ـ أنت كنت فين؟

قال وهو يجذبها:

ـ هذا ليس وقت الحديث الأتوبيس على وشك القيام

جرت خلفه وركبا الأتوبيس وانطلق الأتوبيس وسط الزحام وقف الأتوبيس أمام القناة انتظارا لقدوم المعديه ورأت القناة لأول مرة فسألت عطا:

ـ أيه الترعة الكبيرة دى؟

إنتفخ عطا فقد زار هذه المدينة من قبل وقال:

ـ هذه قناة السويس

قالت لواحظ وهى تدعى الفهم:

ـ هى دى اللى حصلت الحرب بسببها .
رد عطا :
ـ أيوه يابت الريس جمال عبد الناصر أخذها من عينهم.
قالت لواحظ :
ـ كنت أرى الطائرات وهى تعبر من فوق قريتنا وأسمع صوت القنابل .. أيام عصيبة.
قال عطا:
ـ بصى يا بت شوفى القناة واتملى فى جمالها.
نظرت بانبهار إلى القناة ولكنها خافت مرة أخرى من المجهول فقالت لعطا:
ـ الرجل الذى ستذهب له. هل ستجده؟
قال عطا يطمئنها:
ـ إنه مضمون ولا يغادر البلده أبدا
قالت لواحظ بلهفة:
ـ وهل الذى أعطى اسمه لك رجل جاد؟
قال عطا:
ـ إنه كان عاملا بوابور الطحين ووالدى هو الذى رباه ولم يكن يعز عليه شيئا.
ـ وكيف عرف الرجل الذي سنذهب له.
ـ إنه من بلده ويعمل هناك.
نظرت لواحظ للمجهول وقالت:

ـ لو كنت احتفظت بماكينة الطحين ما كنا هنا.

نفخ عطا الزفير فى غضب وكان هذا إنذاراً للواحظ لتسكت فسكتت. نامت تحلم بلا شيء وأفاقت على يد عطا تهزها وهو يقول:

ـ قومي وصلنا.

نزلا من الأتوبيس وراحت تنظر بدهشة لبلدة رفح تراها بلدة صغيرة ولكنها عالم مجهول بالنسبة لها أخرج عطا من جيبه ورقه بها عنوان الرجل الذى يقصده وأعطاها لأحد سكان البلدة فأرشده للمكان وسارا سويا إلى المكان ووجداه بيتا صغيرا طرق عطا ففتحت امرأة عجوز فسألها عن صاحب البيت فقالت له:

ـ لقد رحل من أسبوع إلى بلدته.

أغلقت الباب ووقفا حائرين. الظلام قد حل وعطا لا يعرف أحداً بالبلدة سوى هذا الرجل قالت لواحظ بغضب:

ـ ماذا سنفعل؟

رد عطا بصوت هامس:

ـ أسكتى لا ترفعى صوتك.

صاحت بصوت عال:

ـ يعنى لو مكنتش ضيعت فلوسك على القمار والحشيش كان زمانا ملمومين في بيتنا.

وصرخت بصوت عال:

ـ ياوكستك يالواحظ ياخيتك بانختك المايل ياريت

الموت بيجى ويريحنى.

حاول عطا أن يسكتها ولم يفلح فانهال عليها ضربا ولمحهما رجل فاقترب منهما وخلص لواحظ من يديه وسأل عن المشكلة فقالت لواحظ:

ـ جابنى هنا فى بلاد الغرب..

وانتابتها نوبة بكاء شديدة فاتجه الرجل إلى عطا يسأله فقال له المشكلة فقال الرجل:

ـ لا توجد مشكلة ولا يحزنون.

نظر له عطا ولواحظ فقال لهما:

ـ هنا رجل يؤجر مسكنا.

أخذهما الرجل واستأجرا المسكن ودخلاه وقال عطا بغضب:

ـ يعنى كان لازم تعملى فضيحه.

فقالت وهى تبكى:

ـ عمايلك هى اللى فضحانا

لوى بوز ه وقال لها:

ـ أنا خارج أشم شوية هواء بدل القعدة الفقر دى.

خرج لا يدرى إلى أين يذهب ووجد نورا ينبعث من محل فاتجه إليه فوجده قهوة فدخل ساهما وهو خرمان لتعميره وقال للقهوجى :

ـ أريد تعميرة مضبوطة.

نظر له القهوجى فبحكم المهنة فهم أنه يريد حشيشا وتلفت

حوله فوجد الصول عنبر جالسا فاطمأن أن عطا ليس منه خطر فقال له:

ـ عندي صنف معتبر

وأخرج قطعة حشيش من سولوفان وقال له:

ـ خذ شم

شمها عطا وقال له:

ـ ماشي

شد عطا الأنفاس من الجوزة وتعرف على الصول عنبر وغلوش تاجر الحشيش وسأله غلوش:

ـ الأخ منين

فقال عطا وهو مسطول:

ـ من... من

ضحك غلوش والصول عنبر عليه وقال غلوش:

ـ لا.. دا أنت تقوم على بيتكم.

وتوجه بالسؤال له:

ـ أنت ساكن عند مين

حاول أن يفتح عطا عينيه ولكنه تمكن أخيرا من أن يفتحهما نصف فتحة وقال:

ـ عند..عند...عند

إزداد ضحك غلوش والصول عليه.. وقال غلوش:

ـ دا أنت نكته «..» كل يوم نضحك عليه.

بربش عطا بعينيه فقد أثرت فيه المخدرات مع تعب المشوار



شد عطا الأنفاس من الجوزة وتعرف على الصول عنبر وغلوش تاجر الحشيش وسأله غلوش:

مع نكد لواحظ عليه فأغفى وبعد قليل أفاق فقال له غلوش:

ـ أنت ساكن فين؟

قال عطا:

ـ عند البهي

ـ مسكن أجره يعني

أخذه غلوش إلى بيته فهو جاره وما أن طرق الباب وفتحت لواحظ حتى تعلق بصر غلوش عليها وقال له عطا:

ـ إتفضل يا معلم غلوش

وجد غلوش نفسه يدخل خلف عطا وقدمه للواحظ قائلا:

ـ المعلم غلوش عارف كل شيء في السوق هنا

نظرت له لواحظ ولم تسترح له فقال عطا:

ـ نريد شايا

فقالت لواحظ:

ـ لسه ما اشتريناش

فقال غلوش:

ضيافتكم اليوم عندي . أكل وشرب وكله

قالت لواحظ:

ـ لا نريد ضيافة. بل نريد أن نشتري بضاعة لنسافر إلى بلدنا .

قال غلوش وكأنه الناصح الأمين.

ـ شراء البضاعة يحتاج الصبر وعدة أيام حتى أشتري لكما بضاعة جيدة بثمن زهيد لتربحا بها

خرج غلوش وذهب لبيته وقال لزوجته:

ـ إذبحى خروفا.

قالت بدهشة:

ـ لماذا؟

ـ عندنا ضيوف

ـ من هم

ـ يسكنون فى بيت البهى

ـ سيحضران على الغداء أم العشاء

ـ لا هم رجال وسيذهب الخروف عندهم.

لم تعقب بدرية زوجة غلوش ولكن ما إن نام حتى خرجت لتستطلع الضيوف الذين يسكنون منزل البهى وطرقت الباب ففتحت وما إن رأتها بدرية حتى فهمت سر العزومة فزوجها غلوش عيناه زائغتان وهى تغار عليه بجنون قالت لواحظ لبدرية:

ـ إتفضلى.

دخلت بدرية والشرر ينطلق من عينيها وخرجت وقد قررت أن تراقب هذه المرأة الجميلة.

ذهب الخروف هدية غلوش وأكل معهما ولواحظ تتوجس منه خيفه وخرج بعد أن تناولوا طعامهم وبقيت لواحظ مع عطا فقالت له:

ـ ما هى حكاية غلوش؟

قال لها:

ـــ رجل طيب يريد مساعدتنا
ـ لكننى لا أستريح لهذا الرجل
ـ ماذا سيفعل معنا
ـ لا أدرى
جذبها نحوه وقبلها وقال لها:
ـ من مدة طويلة
ضحكت كأنها تحاول أن تسرب خلسة الفرحة لداخلها حتى لو كانت هذه الفرحة وهمية وقالت له
ـ آه لو انصلح حالك ياعطا سنكون أسعد زوجين.
قال لها بحنان:
ـ بطلي كلام وقومي اخلعي هدومك
خلعت ملابسها وكأنها تخلع الهم واندست بجواره عسى أن ينصلح حاله ونام عطا وبقيت هى مستيقظة تسأل نفسها ، هل سينصلح حال عطا ، ما طبيعة علاقة غلوش بعطا، لماذا تزورها بدرية زوجة غلوش كثيرا. ظلت مستيقظة إلى أن أستيقظ عطا فسألته:
ـــ متى سنشترى البضاعة؟
ـ مستعجلة ليه.
ـ علشان منصرفش الفلوش فى الإيجار والأكل.
نظر عطا لسقف الحجرة وقال لها:
ـ لماذا نعود بلدتنا إننا لم نجد فيها إلا الحظ السىء
نظرت له لواحظ وقالت:

ـ فى أى شىء تفكر.
قال لها عطا:
ـ غلوش وعدنى بمحل هنا ونستقر هنا
ـ ومن أين ستأتى بالتكاليف
ـ سيعطينى قرضا
تنهدت لواحظ وقالت:
ـ لا أصدق «..» إنه رجل خبيث.

خرج عطا ليقابل غلوش فى بيته ووجد معهما الصول عنبر فجلس معهما وقال الصول عنبر السيد قاسم سلامه:
ـ الأمن فى رفح مسئولية كبيرة
نافقه غلوش قائلا:
ـ لولاك لا نفرط العيار
قال الصول بتفاخر:
ـ كل ضباط المركز يعتمدون على اعتمادا كليا.
رشف رشفة من القهوة وقال:
ـ من شهر قمت بضبط أكبر تاجر مخدرات بالمنطقة.
إنكمش غلوش رغم أن الصول صديقه لكنه لا يأمن جانبه.
إستمر الصول فى كلامه:
ـ ظل التاجر يتردد بين غزة والعريش ورفح يجلب لهم الحشيش ويأخذ بضاعته إلى الإسماعلية وقد أحكمت عليه الخناق إلى أن أمسكت به متلبسا.

غلوش تاجر صغير ولكنه يحلم بأن يصبح تاجر مخدرات

كبيرا ويخاف من إفشاء سره لأهل بلدته حتى لا يفشى أحد سره إلى الصول عنبر ورغم أ ن الصول يشرب معهم الحشيش لكنه لو لم يجد قضية يضبطها فسيمسك بأقرب الناس إليه فهو محل ثقة رؤسائه ولا يمكن أن يفقد هذه الثقة فما من ضابط يأمر ه بشيء إلا ونفذه حتي ولو كان عويصا

قال الصول عنبر:

ـ ومنذ أسبوع قال لى المأمور هناك حادثة سرقة كبيرة وطلب منى ضبطها ولم يمض يومان إلا وقد أمسكت باللص.

سأل عطا:

ـ هل رجعت المسروقات

تراجع الصول وقال:

ـ للأسف بددها اللص

صاح الصول:

ـ نريد تعميرة يا غلوش

فى ثوان جاءت التعميرة ودارت الجوزة على الموجودين.

انصرف الصول وبقى غلوش مع عطا فقال له عطا:

ـ هل وجدت المحل الذى وعدتنى به.

همس غلوش فى أذن عطا

ـ المحل مجرد واجهة لعمل كبير سيدر عليك ربحا كبيرا

فتح عطا عينيه وسأل:

ـ ما هذا العمل؟

قال غلوش :
ـ ما رأيك فى مكسب مليون جنيه.
ـ ما هو هذا العمل الذى سيدر هذا الربح
ـ سنذهب لإسرائيل
ـ إسرائيل
ـ نعم نشترى مخدرات بأبخس الأثمان ونعود لنبيعها بأسعار خيالية.
ـ ولكن هذه العملية خطيرة
ـ هل أنت خائف؟
ـ لا .. ولكن.
أتت صينية عليها ماكولات فقال غلوش لزوجته
ـ أرسلى للواحظ لتأكل معنا
ردت بغيظ:
ـ حاضر
رجع عطا مع زوجته وهو يقول لها:
ـ رجل ليس مثله أحد
قالت لواحظ بتخوف
ـ ياخوفى منه . لا أعرف لماذا يتودد لنا بهذه الطريقة.
ـ يابت دايخلينا نغرق فى الفلوس
هزت رأسها وضحكت بأسى وقالت:
ـ بكره نشوف

دخلا بيتهما وقد انعقد بينهما ود عجيب هل بسبب تواجدهما فى الغربة بمفردهما ؟ فمارسا «..» بنوع من المحبة وناما ، أما فى بيت غلوش فكان الوضع مختلفا بدأت بدرية زوجته تلمح وتقول له:

ـ لواحظ جميلة مش كده

رد بنعومة

ـ لازم نجو عطا هو الوحيد الذى أستطيع أن أعتمد عليه فى زيارتى لإسرائيل

قالت هى مصدقة

ـ لماذا عطا بالذات

ـ عطا غير معروف فى مجال تجارة المخدرات لذا سيكون فى مأمن من الأعين

نامت غير مصدقة وحاول أن يقبلها فرفضت بطريقة جعلته يبتعد عنها ويفكر فى لواحظ إنها أنثى مكتملة تجعله راغبا فيها حتى لو عاشر ألف امرأة.

فى الصباح زار غلوش عطا وقال له:

ـ أنت الان رجلى أليس كذلك

وقال غلوش:

ـ أريدك أن تتعرف على جميع عملائنا

ـ ماشى.

همس غلوش فى أذن عطا:

ـ أريدك أن تزور الدفرسوار

ـ لماذا؟
ـ ستتعرف على جلال أبو نواره وهذا عنوانه:
أعطاه ورقة بها عنوانه وقال له:
ـ بت عنده لتتعرف على رجاله
ـ حاضر ولكن لواحظ
ـ لواحظ في عيننا وسأجعل بدرية معها.
ما إن غادر عطا رفح حتى عاد غلوش لبيته وطرق الباب وفتحت لواحظ وقالت له:
ـ ماذا تريد يا معلم غلوش؟
تلعثم وقال:
ـ أريد أن أعرض عليك بضاعة جيدة نظرت له وقالت:
ـ عندما يأتى عطا أعرضها عليه
قال بحنان:
ـ هذه الفرصة لن تعوض وأخشى لو تركناها لحين عودة عطا أن تضيع منا
حارت ماذا تفعل وقالت:
ـ وأين التاجر؟
قال غلوش:
ـ كيف أجعله ينكشف على حريمنا
نظر لها بهيام وقال لها:
ـ ألن تجعلينى أدخل
ـ أتفضل

دخل غير مصدق نفسه ونظر إلى لواحظ إنها ترتدى جلبابا عربيا مشغولا وكأنه فصل خصيصا لقوامها ويبرز من خلاله نهداها فى تحد سافر وجلس غلوش يبلع ريقه وقال لها:

إنت تستاهلى حاجات كثيرة

لم تسعد بإطرائه وقالت:

ـ أرنى البضاعة

فرد حقيبته وأخرج منها قميص نوم وسوتيانا ولباسا حريميا وقال لها:

ـ ما رأيك؟

قالت بأستهتار:

ـ هل هذه هى البضاعة التى تقول عنها فرصة؟

قال بشجاعة

ـ هذه لك أنت

نظرت له شذرا وقالت مشيرة إلى الباب

ـ أتفضل يا معلم

نظر لها غاضبا وقال:

ـ هل تطردينني

قالت بنظرة قاسية

ـ عطا يحضر اتفضل تعال.

خرج ينفخ غضبا فلواحظ تداعب خياله ولكن هى عنيده لابد أن يجعلها ترضخ . عطا يصاحب هذه الأيام مجموعة رجال يلعب معهم القمار ولماذا لا يجعله يلعب القمار مع رجاله وعندما

يفلس ، ستأتى لواحظ له راضخة وتفتح جسدها له.

دخل بيته ووجد بدرية زوجته متحفزة وقالت له:

ــ أين كنت؟

إندفعت نحوه وقالت:

ــ نعم يا عمر

تمنى فى هذه اللحظة أن يطلقها ويتخلص منها ولكنها تعرف كل أسراره ليته يستطيع أن يقتلها ولكن القتل ليس كاره. سحب ناعم وقال لها بحنان:

ــ آه لو نظرت فى المرآة لعرفت أننى لا أستطيع أن أنظر لامرأة غيرك .

خفت حدة غضبها وقالت:

ــ ولواحظ

جذبها لأحضانه وقال لها:

ــ لواحظ فلاحة وأنت

ــ وأنا أيه

ــ أنت القمر

قبلها فاستجابت له وجذبها إلى حجرة النوم ليفرغ فيها كل غيظه من لواحظ وحاول أن ينام دون جدوى فقام وخرج وذهب لأحد رجاله وقال له:

ــ نريد أن نفلس عطا.

ــ لماذا؟

ــ حتى نربطه بنا ولا يخالفنا ولا يبلغ عنا

قال الرجل وهو يخرج سكينا من جيبه:
ـ لو أبلغ هذا مصيرة
ربت كتفه وقال له:
ـ لا الفلوس توجع عن السكين
ـ ماذا تقصد؟
ـ عطا يحب لعب القمار ويصادق شلة يلعب معها ولكننا نريد أن نجذبه لنا فنأخذ فلوسه نحن .
قال الرجل وهو يبرم شنبه:
ـ ماشى الكلام
أراد غلوش أن يضع فتيلا بين عطا وزوجته فقال للرجل:
ـ ونقنعه يلعب قمار فى بيته.
ضحك الرجل
ـ ويلعب على مراته كمان ويخسرها
طمأنه الرجل ومشى غلوش سعيدا بخطته وذهب إلى بيته لينام مستريحا.
عاد عطا فى اليوم التالى ووجد زوجته حزينة فسألها:
ـ مالك «؟..» فكيها
ـ زهقت وعايزة أرجع بلدى
نفخ وقال لها:
ـ وش فقر طول عمرك بعد ما اتجوزتك ضاعت فلوسى
ـ هو أنا اللى خليتك تلعب قمار وتضيع فلوسك

إحتد النقاش بينهما وقام فضربها وهى تصرخ:
ـ لن أمكث هنا.
صرخ فيها وهو يضربها:
ـ ستمكثين رغما عن أنفك
خرج وصفق الباب بقوة وذهب إلى غلوش فأخبره بما حدث فى رحلته وقال له:
ـ سمعت أنك لعبت قمارا مع عده رجال من البحيرة
إندهش عطا وقال له:
ـ كيف عرفت؟
نظر غلوش له بعمق وقال له:
ـ لقد أصبحت من رجالنا ويجب أن نخاف عليك
ـ ممن «؟»
ـ من كل شيء الا يمكن أن يكون من الرجال الذين تلعب معهم القمار رجل من المباحث؟»
ـ وماذا ترى؟
ـ يجب أن تقول لى عن كل تحركاتك وعموما إذا أردت أن تلعب القمار فعندنا من يلعب معك
ضحك عطا وقال:
ـ ويخسرون
بادله غلوش الضحك وقال:
ـ حتى لو خسرت ولا يهمك الصفقات التى ستعقدها ستجعلك تلعب بالفلوس.

أخذ عطا نفسا عميقا كأنه يلم كل أحلام الدنيا بداخله وفى المساء كان رجال غلوش فى بيت عطا يلعبون القمار ولواحظ تخدمهم مجبرة وبالطبع عطا يخسر وعندما أحس غلوش بخسارة عطا قال له:

ـ أريدك أن تسافر إلى أبو خليفة

إندهش عطا وقال له:

ـ لماذا؟

ـ لتقابل أبو شفيق أحد رجالنا

ـ ومتى أحضر

ـ بعد يومين

ـ ومتى تريدنى أن أسافر؟

ـ اليوم

ترك عطا غلوش وذهب لبيته ليستعد للسفر وقال لزوجته:

ـ أنا مسافر إلى أبو خليفة

ـ لماذا؟

حار ماذا يقول لها فقال بغضب:

ـ أنت راح تحاسبينى والا أيه ؟

قالت بغضب

لا لا ح حاسبك ولا حاجة بس عايزة أعرف باقى معانا فلوس قد أيه

إرتبك وقال لها:

ـ عندما أعود سأخبرك

حاولت التشبث به لمنعه من الخروج وهى تصرخ :

ــ أريد أن أعود لبلدى

ركلها بقدمه وخرج وظلت هى تبكى . نامت من فرط التعب واستيقظت على طرقات على الباب فقامت وفتحت فوجدت أمامها بدرية زوجة غلوش فأدخلتها وقالت بدرية:

ـ مالك أنت كنت بتعيطى وإلا أيه:

مسحت لواحظ دموعها وقالت لها:

أحست بدرية أن هناك سرا تخفيه هل هى تحب غلوش وتبكى من فرط حبه . هناك بالتأكيد شىء بداخلها وسر لابد أن تعرفه فقالت لها:

ـ أحكى لى وأنا أحل يا أختى مشكلتك

انفجرت لواحظ فى البكاء وبدرية مندهشة وربتت على كتفيها قائلة:

ـ لا أنت متشيليش كل ده لوحدك قولى

حكت لواحظ لبدرية عما يضايقها ورغبتها فى العودة إلى بلدتها ووجدت بدرية تلك فرصتها لإبعاد لواحظ عن طريق زوجها فقالت لها:

ــ إذا رفض عطا عودتك إلي بلدك إشتكيه فى القسم

دبت لواحظ بيدها على صدرها وقالت

ـ أشتكيه فى القسم لا ياختى دا عيب كبير قوى.

ودودت بدرية فى أذن لواحظ قائلة:

ـ وحياتك غلوش جوزى ياما اشتكيته فى القسم والبوليس أدبه ودلوقتى ماشى معايا زى الألف.

أنصتت لواحظ لكلامها وبدا عليها الرغبة فى سماع المزيد من هذا الكلام وزادتها بدرية وادخلت فى رأسها فكرة جر عطا للقسم لتأديبه وحتى ينصلح حاله. ورأت لواحظ فى البوليس عوضا عن والد عطا الذى كان يوقفه عند حده.

خرجت بدرية وبعد قليل طرق الباب غلوش فأدخلته على أمل أن تعرف منه ماذا فعلت معه زوجته . دخل إلى غرفة النوم مباشرة وكأنه رتب شيئا فى رأسه انزعجت لواحظ وقالت له:

ـــإتفضل فى الحجرة الأخرى.

وأشارت عليها . لكنه لم يسمع كلامها وقال لها:

ـ اسمعى يالواحظ أنا مش قادر

تراجعت وسألته:

ـ ماذا تقصد؟

قال وقد فتح عينيه ليملأهما بجمالها:

ـ أنا بحبك

إلتصقت في الحائط وقالت:

ـ إن قربت أكثر من كده راح أصرخ

لم يبال بكلامها فقد ملأت رائحتها الأنثوية خياشيمه والتصق بها

حاولت أن تبتعد دون جدوى فقالت:

ـ فى عرضك ياسى غلوش متفضحنيش

إبتعد قليلا وقال لها:
ـ أنا مستعد أطلقك من عطا واتجوزك
قالت بسرعة:
ـ طيب إبعد وأفكر فى الموضوع ده
إلتصق بها مرة أخرى وهو يقول:
ـ اثبتى حسن نيتك
حاولت أن تبعده بيديها وقالت:
ـ إزاى
قالت وهو يمد يده
ـ توافقى
ـ على إيه
مزق ملابسها وطرحها أرضا وسط أستغاثتها المكتومة وتركها تبكى وقبل أن يخرج قال لها:
ـ لو قلت لعطا ساقتلك وأقتله فاهمة
عاد عطا وما أن دخل بيته حتى قالت له:
ـ أسمع لما أقولك
دفعها وهو يقول
ـ عايزة إيه ياوش الفقر
ـ لازم نسيب البلد دى ونرجع بلدنا
ـ نعمل إيه هناك نشحت!
ـ أيوه نشحت ولا نقعدش هنا
ـ ليه



مزق ملابسها وطرحها أرضا وسط أستغاثتها المكتومة وتركها تبكى وقبل أن يخرج قال لها:

ـ أهو نسافر وخلاص

ـ لا لازم أعرف

ـ إحنا جينا هنا علشان نشترى بضاعةونرجع علطول

ـ لقيت هنا شغل أتبطر عليه!؟

ـ لا شفنا شغل وغيره غير لعب القمار

ـ إتلمى

ورفع كوبا فى يده وقال:

ـ إتلمى يابت

ذهبت فى اتجاهه وقالت:

ـ لأ مش راح اتلم ولازم أعرف دلوقتى إنت فاضل معاك فلوس أديه.

رمى الكوب من يده فانكسر وصفعها على وجهها وقال لها:

ـ طول عمرك وش فقر

قالت وهى تصرخ:

ـ أنا اللى حشت شوية فلوس نتاجر بيهم علشان أعمل منك بنى ادم.

اندفع نحوها يوسعها ركلا وضربا فصرخت بأعلا صوتها.

ـ عايزة أرجع بلدى

قال لها:

ـ راح تقعدى هنا ورجلك فوق رقبتك

جرت خارجة من الباب وهى تقول:

ـ طيب راح أعرف أربيك يا عطا.

الفصــــل الســـادس

مسح هيثم دموعه وقال لزوجته وأولاده:

ـ و جاء اليوم الموعود

سأله إبنه نور:

ـ أى يوم تقصد؟

قال هيثم

ـ جميل أن يسأل نور هذا السؤال لأنه يهمك أنت أكثر من إخوتك

قال نور:

ـ ماذا تقصد يا أبى؟

قال هيثم:

ـ ستعرف يابنى عندما أكمل قصة لواحظ

سرح هيثم قليلا ثم قال:

ـ جاءت لواحظ لقسم البوليس وكنت أنا أحد ضباط هذا القسم وكان المأمور مريضا وقمت أنا بأعماله مؤقتا. وكان بالقسم الصول عنبر لا شى صعب عنده. ولا حادثة تحدث إلا وأتي الصول عنبر بالجانى ولم نكن نعرف كيف يفعل ذلك ولكن بعد أن أحكى لكم قصة لواحظ

ستعرفون ماذا كان يفعل هذا الصول:

سمعت زعيق لواحظ فنزلت من مكتبى وقلت:

ـ ماذا حدث؟

قال الصول عنبر

ـ أبدا يافندم دا وليه مخها طاقق شاكية جوزها

وقلت للصول:

ـ إرسلها لى مع زوجها

ودخلا مكتبى وحكت لواحظ قصتها وقال عطا:

ـ هذه امرأة فالته العيار تريد أن تعود إلى بلدها لتقابل رجلا اسمه جميل .

صرخت لواحظ

ـ كاذب وفاجر يامجرم

وقال الصول:

ـ تسمح يافندم أتكلم فى هذا الموضوع

قلت له:

ـ تكلم ياحضرة الصول

قال الصول عنبر:

ـ عطا رجل مستقيم ولم يكذب علينا قط وقد أتى بالفعل للعمل لكى يحافظ على أسرته ولكن هذه المرأة تحتاج للتربية .

وجدت لواحظ نفسها فى هذا المأزق لقد تحولت من ضحية إلى جانية.

ـ عقابا لكما: عليكما تنظيف حديقة منزلى لمدة أسبوع.

وكنت كل يوم أراهما وهما ينظفان الحديقة وانتهى الأسبوع ونسيتهما العلاقة بين لواحظ وعطا انقطعت تماما فانشغل عطا فى أحلامه التى رسمها لنفسه وكره لواحظ لأنها عرضت به فى الشرطة ولواحظ تجتر أحزانها وذكرياتها الأليمة مع عطا وكرهته تماما وحاولت أكثر من مرة أن ترجع بلدها وتقول له:

ـ أريد العودة إلى بلدى

فيركلها بقدمه قائلا:

ـ لن ترى بلدك ثانية

ويدأ عطا يشتكى زوجته لغلوش والصول وخاصة فى جلسات الحشيش الخاصة ويقول له غلوش:

ـ أوعى تخليها تسافر لبلدها

ويقول عطا وهو مسطول:

ـ ليه

ويعقب الصول:

ـ خليها تسافر وتغور فى داهيه

يقول غلوش:

ـ لو سافرت راح تفضحك

نظر لهما بدهشة فقال:

ـ كنت أعرف امرأة وطلقها زوجها ومشت فى الحرام ورغم أنه طلقها إلا أن أنتسابها له سابقا ظل يطارده.

تذكر عطا ــ شفعات وكيف كانت تريد أن تسحب لواحظ لتعمل معها بعد أن أغتصبها. لذا فهو يتمسك بها معه حتى لا تنحرف وغلوش يرسل عطا كثيرا إلى عدة مدن بالجمهورية لتبقى لواحظ بمفردها فيطرق بابها فى منظر يتكرر ويقول لها:

ــ أريدك يا لواحظ.

وعندما تمنعه من الدخول يدفع الباب بالقوة ويدخل قائلا:

ــ خلاص يابت أنت بقيتى بتاعتى.

تصرخ فيه:

ــ حرام عليك ياسى غلوش

يخرج زجاجة خمر صغيرة من جيبه ويشرب رشفه ويقول لها.

ــ راح تجننينى يابت

ويمد يده فتتراجع مندهشة:

ــ سأصرخ وألم عليك البلد

يضحك فهو عرف أنها جبانة ولن تفعل كم من ملابس مزقها وأحضر مكانها تتراجع إلى أن تلتصق فى الحائط فيطبق عليها قائلا:

ــ بحبك يالواحظ

حاولت فى كل مرة أن تقول لعطا عند عودته من سفره ولكن لسانها يتلجم فهى تقول له:

ــ بلاش سفر ياعطا

ينظر لها ولا يرد وإن رد يقول لها:

ـ قلت لك مائة مرة ليس لك شأن بذلك

تحاول أن تتودد له ولكنه يصدها بخشونة قائلا لها:

ـ تشتكينني في البوليس ياكلبة.

ورغم إهاناته الكثيرة لها كانت تحاول ولكن غلوش كان يحقن عطا ويوقع بينهما والصول يرى في النساء الشيطان ويرى لواحظ كل النساء وكل الشياطين . الصول عنبر قرأ أن كل جريمة خلفها امرأة سمع هذا من ضابط المركز وسمعه منى أنا شخصيا . فمرة جاء لى الصول عنبر وقال لى:

ـ لقد عرفت الآن أن كل جريمة خلفها امرأة.

قلت مندهشا:

ـ الحياة ياعنبر ليس فيها سوى الرجل والمرأة«..» والجريمة أما ارتكبها رجل بتحريض من امرأة أو ارتكبتها امرأة بتحريض من رجل فالرجل يحرض المرأة على السرقة.

وقال عنبر لى:

ـ لو لا أن المرأة ترهق الرجل بطلباتها لما دفعته إلى السرقة ليحقق أحلامها ولو كانت أحلامها متواضعة لما فكر فى السرقة

ولما وجدنى غير مصدق لكلامه قال لى:

ـ سأعدد لك أغلب الجرائم التى ارتكبت فى حياتى بل كلها وستعرف أن كلامى صحيح.

قلت له:

ـ تكلم ياعنبر

وقال عنبر:

ـ حادثة السرقة الأخيرة التى ارتكبها رجل من مدينة الفيوم قدم إلى هنا لشراء بضاعة للتجارة فيها فى بلده هل تعرف لماذا سرق .

قلت له:

ـ لماذا؟

ـ لأنه خاطب لامرأة مطلقة ترفض اتمام الزواج إلا لو أتى لها بأموال كثيرة وهى التى حرضته على السرقة.

وبينما نحن نتكلم دخل رجل يقول:

ـ يابيه لقد اكتشفت جثة رجل فى صندوق القمامة

صحت فيه:

ـ الجثة كيف تدخل صندوق القمامة

قال الرجل:

ـ إن وجهه وقطعا أخرى من جسمه متفرقة

كنت فى هذا الوقت أحل محل المأمور المريض فكلفت أحد الضباط مع الصول لمعاينة الجثة وأبلغت النيابة وقلت للصول عنبر:

ـــ يوم واحد وأعرف من القتيل ومن القاتل

أدى الصول عنبر التحية وقال:

ـ واقل من ذلك يا فندم

بدأت تحريات الصول عنبر وسأل عن كل سكان البلده

فوجدهم جميعا موجودين والغائب مكانه محدد فمثلا غلوش غير موجود وقالت بدرية إنه سافرإلى بلدته وكانت العلاقة بين بدرية وزوجها على ما يرام وسأل بدرية:

ـ البت لواحظ عاملة إيه؟

ردت بدرية:

ـ جيب سيرة كويسة جتها البلا

وفكرت قليلا وقالت:

ـ سألت عن الواد عطا جوزها مش جايز تكون عملتها!؟

برم الصول شاربه وقال:

ـ سنرى

ويخرج من بيتها متجها إلى بيت لواحظ وطرق الباب وسألها:

ـ إزيك يالواحظ

ـ تسلم ياحضرة الصول

دخل وجلس على الكرسى وقال لها:

ـ أين زوجك يالواحظ؟

إنزعجت وقالت بهلع

ـ هل جرى له سوء؟

ـ ألا تعرفين ما جرى له؟

ـ لا إنه غطس من يومين

ـ غطس فى صندوق القمامة أليس كذلك.

قالت بدهشة:
ـ صندوق قمامة إيه ياحضرة الصول
رد الصول بحزم:
ـ هو انقتل؟
قال الصول باستهتار:
ـ يعنى مش عارفة؟
قالت بسذاجة:
ـ أنت قصدك ايه ياحضرة الصول.
ـ قصدى راح تعرفيه فى القسم قومى ياختى معايا
ـ على فين؟
ـ على القسم ياسفاحة يامجرمة
لطمت وجهها مولولة:
ـ ياحظك المهبب يالواحظ ياميلة بختك يا لواحظ
سحبها بالقوة واتجه بها إلى مكتبى قائلا:
ـ خلاص يابيه. عرفنا القتيل وعرفنا القاتل
فتحت عينى دهشة وقلت:
ـ من؟
قال الصول بفرحة شديدة
ـ البت لواحظ قتلت الواد عطا جوزها .
فتحت عينى دهشة وقلت له:
ـ اللى كانوا بيشتغلوا عندى فى الجنينة
ـ هما يابية. حاكم البت لواحظ دى مجرمة

سألته:

ــ ولماذا قتلته؟

قال الصول يذكرني:

ــ سعادتك مش فاكر لما الواد عطا قال انها بتحب واد اسمه جميل في بلدهم قتلته علشان يخلا ليها الجو.

قلت للتأكد:

ــ بس وجه الجثة كان ملخبط إزاي عرفت إنه عطا

قال الصول بمكر:

ــ نسبها يا بيه لما نتأكد من الجثة

إنها فرصتي لإثبات جدارتي والقضية جاهزة القتيل معروف والقاتل عرفناه فلماذا التلكك وقضية وجاهزة فقلت له:

ــ لا مدام متأكد خلاص

قال الصول بسعادة:

ــ البركة فيك يابيه

قلت بدهشة:

ــ ماذا تريد ياحضرة الصول عطا؟

قال بمكر:

ــ التقرير بتاعي يابيه

طمأنته قائلا:

ــ إطمئن ياعنبر

قال بفرحة:

ــ يعني راح أعلق الدبورة يابيه

ـ ألف مبروك مقدما ياعنبر

فى الحقيقة فرحتى أنا كانت تزيد عن عنبر فأنا لست مأمورا رسميا ولكن اكتشافي لهذه القضية بسرعة سيرفع شأنى.

سألت الصول عنبر:

ـ هل اعترفت ؟

قال الصول بثقة:

ـ ستعترف بكل شىء

قلت بلهفة:

ـ نريد معرفة الأداة المستخدمة وكيف نفذت الجريمة؟

ـ حاضر يابك

سألت الصول:

ـ صحتها عاملة إيه يا عنبر؟

قال الصول:

ـ بتقول أنها حامل.

زعقت بقرف:

ـ حامل وتقتل زوجها جتها البلا

قال الصول :

ـ يمكن بتقول كده خايفة لا نضربها

قلت له:

ـ أوعى تكون حامل بصحيح ياعنبر

قال عنبر:

ـ حتى لو حامل راح نعرف نقورها من غير ما يحصل لها حاجة ويعنى يابيه لو سقطت مش يبقى أحسن اللى راح تولده لاراح يلاقى لاأبوه ولا أمه ويبقى متشرد ويسبب لنا المشاكل.

صرخت فيه :

ـ لا ياعنبر أوعى تسقط أحسن تقريرك يبقى فيه نقطة سوداء وبدل ما تترقى تأخذ جزاء.

في الحقيقة أنا كنت خائفا علي نفسى. فالقضية مستوية ولا تحتاج إلى مشاكل.

ذهب الصول عنبر إلى لواحظ فى الحجز وقال لها:

ـ تعالى ورايا يا لواحظ.

ـ خرجت خلفه تبكى وهى تقول:

ـ أنا محبوسة ليه يابيه؟

رد الصول:

ـ بنحبك يالواحظ حابسينك علشان نتملى فى جمالك.

قالت وهى تصرخ:

ـ حرام عليك ياحضرة الصول ما تفتريش عليه.

قال الصول بثقة:

ـ حاضر يالواحظ راح أقو لك على كل حاجة فى مكتبى وراح أخرج الاستعباط من رأسك وتقرى علي كل حاجة.

دخلت مكتب الصول عنبر وقال لها:

إجلسى يالواحظ.

ونادى الجندى المراسلة قائلا:

ـ كوب شاى للواحظ

قالت بقرف:

ـ مش عايزة شاى أنا عايزة أعرف أنا هنا ليه.

قال الصول:

ـ ما هو دا اللى عايز أعرفه منك

ـ تعرف إيه؟

ـ قتلتى عطا إزاى.

قالت بهلع:

ـ ياحضرة الصول أنا مشفتوش دا احنا زعلانين من بعض وخرج من غير ما يقول لى هو رايح فين.

ـ ومبلغتيش ليه عن غيابه؟

ـ أنا قلت راح يرجع.

أتى الرجل باشاى ووضعه أمام لواحظ فقال الصول

ـ إشربى الشاى يالواحظ.

ـ حاضر يابيه

ـ هيه «..» قولى بقه قتلتى عطا إزاى؟

ـ حرام عليك ياحضرة الصول

قام الصول واقفا وقال:

ـ يعنى الذوق مش نافع



قتلتــى عطـا إزاى!!

ـ حرام عليك يابيه
نادى الصول المراسلة قائلا:
ـ هات عدة الشغل
فزعت لواحظ وقالت:
ـ راح تعمل إيه يابيه؟
قال الصول بسخرية:
ـ لادى حاجة تخليكى تتكلمى
دخل المساعد بكلب بوليس كبير يمسكه ، ولما رأت لواحظ الكلب صرخت من الرعب فقال لها الصول:
ـ الكلب ده راح يقطعك حتت.
ـ حرام عليك ابعده عنى
قال الصول للجندى:
ـ سيب الكلب ياكلها
صرخت من الرعب:
ـ لا «..» أوعى تسيبه
قال المساعد للجندى:
ـ خلاص مشى الكلب
إبتعد الجندى بالكلب وقال الصول للواحظ:
ـ قتلتى عطا إزاى؟
قالت وهى تبكى:
ـ وحياتك يابيه ما قتلته.
قال الصول بقرف:

ـ لا يظهر المحايلة ممنهاش فايدة
قالت بفزع:
ـ راح تعمل إيه يابيه
ناديت الصول وقلت له:
ـ لواحظ اعترافت؟
قال الصول متبرما:
ـ لسه يا بيه بس راح تعترف «..» ياما أجعص منها واعترفوا.
قال:
ـ آه لو مكانتش حامل.
قلت له:
ـ أرسلها لى وسأقنعها بالإعتراف
ـ حاضر يابيه.
بعد قليل كانت لواحظ أمامي فقلت لها:
ـ ازيك يالواحظ
انفجرت فى البكاء وقالت:
ـ مظلومة يابيه
قلت لها:
ـ اقعدى يالواحظ
جلست باستكانه وقلت لها:
ـ يالواحظ أنا عارف إن عطا كان مجرم وعذبك مش كده

قالت بسذاجة:

ـ قوى يابيه عذبنى كتير.

قلت لها:

وجميل كان بيحبك

قالت وكأنها تحلم:

ـ منه لله عطا. كان جميل خطيبى

ـ وليه متجوزتهوش يالواحظ؟

حكت لى حكايتها وبعد أن انتهت قال لها الصول:

ـ متكذبيش يالواحظ.

قالت وهى تبكى:

ـ أنا صادقة

قلت لها:

ـ يالواحظ أنا مصدقك فى كل كلمة قلتيها.

نظرت لى نظرة توسل وقالت:

ـ ربنا يخليك يابيه.

قلت لها

ـ أعدك يالواحظ بأن أساعدك لو قلت كيف قتلت عطا. إنه كان مجرما يستحق القتل.

بكت بعنف ولم ترد فقلت للصول:

ـ خذها يا حضرة الصول بعيد عنى

أخذها الصول إلى مكتبه وأذاقها ألوان العذاب وهو يقول لها:

ـ ستظلين فى عذاب مرير إلى أن تعترفى أنا لم يغلبنى أحد. قولى يابت كيف قتلت عطا.

بعد أن عذبها كثيرا قالت:

ـ سأعترف

كف عن تعذيبها وقال بلهفة:

ـ بأى شىء ضربته على رأسه

قالت:

ـ بعصا المقشة.

زغر لها وقال:

ـ هيه. قولى الحق

قالت:

ـ بقطعة حديد

قال الصول:

ـ وأين هذه القطعة؟

قالت لواحظ وهى تبكى:

ـ رميتها

قال لها الصول:

ـ وكان مخدرا

قالت لواحظ:

ـ نعم كان مخدرا من كثرة شرب الحشيش.

قال الصول:

ـ وكيف طعنته بالسكين

قالت لواحظ:
ـ ضربته فى رقبته بعد أن أغمى عليه
قال الصول:
ـ وكيف مزقت جثته.
قالت لواحظ:
ـ كنت أعاون أبى فى تقطيع ذبائحه من الخراف والمواشى.
ضحك الصول وقال لها:
ـ برافو يا لواحظ هل تقولين هذا الكلام عند جناب المأمور.
قالت بذلة:
ـ نعم
سحبها وجاء بها لى قائلا:
ـ خلاص أعترفت
أجلستها وقلت لها:
ـ ماذا حدث يالواحظ؟
قالت بذلة:
ـ أنا الذى قتلته
سألتها:
ـ كيف؟
قالت وهى تبكى:
ـ لى طلب واحد قبل أن أعترف.

قلت بلهفة:

ـ ما هو؟

قالت وهى تشير لبطنها:

ـ أمانة عليك ياجناب المأمور أن تعطف على المولود الذى فى بطنى.

لم أرد عليها فقالت:

ـ عاهدنى ياسعادة البك

قلت بقرف:

ـ أعاهدك يالواحظ قولى ما حدث.

قالت ما قالته للصول فقلت لها:

ـ هل ستقولين للنيابة هذا الكلام؟

قالت وهى تبكى:

ـ سأقول

قلت لها:

ـ وهل ستمثلين كيف قتلت عطا؟

قالت ودموعها تبلل وجهها:

ـ نعم

لأول مرة أشفق عليها وقلت للصول:

ـ خذ هذا الجنيه واشتر لها طعاما.

قالت:

ـ ربنا يخليك يا بيه.

وسارت مع الصول وقبل أن تخرج التفتت لى قائلة:

ـ هل ستعطف على المولود الذى فى بطنى
قلت لها:
ـ خلاص سأراعيه.
لواحظ التى كانت فى الحديقة عندى ترعاها عندما وقعت عليها الجزاء كانت مثل ورد الحديقة زاهية ورائعة الجمال أما الآن فهى ذابله وقد نقص وزنها كثيرا.
وقفت لواحظ فى اليوم التالى أمام النيابة وقالت ما قالته لى وللصول. ولكن فى النيابة بكت وقالت:
ـ أنا مظلومة
التفت لى وكيل النيابة فقال الصول:
ـ عندنا كلب هول
قال وكيل النيابة:
ـ غدا نعرض على الكلب هول
فى اليوم التالى وقف الجندي بالكلب هول ولواحظ وقفت فى وسط مجموعة من المشبوهين وأطلق الجندى الكلب بعد أن شممه ملابس القتيل فاتجه الكلب على الفور للواحظ ونهشها فأبعدوا الكلب عنها وصحت فيها:
ـ يعنى لزومه إيه البهدلة دى.
وأخذناها لبيتها وقامت بتمثيل الجريمة وبعد أن فرغت أغمى عليها فأخذناها للمستشفى وحولتها النيابة إلى المحكمة.

الفصـــل السابع

وصلنى خطاب شكر لأننى استطعت أن أكشف القاتل بسرعة مذهلة وأثنيت على الصول ووعدته بتقرير امتياز يتيح له أن يترقى إلى درجة ضابط شرف.

فى بيتى كنت متزوجا حديثا ولى طفلة جميلة هى كل حياتى وقلت لزوجتى:

ـ باركى لزوجك

ضحكت وقالت:

ـ خير .. لماذا؟

أشرت الى كتفى وقلت لها.

ـ ألا ترين شيئا؟

قفزت واحضنتنى وقالت:

ـ ألف مبروك . الحفلة ستكون غدا عظيمة

قلت وأنا أضحك:

ـ أعزم زملائى بقلب جامد

وضعت يديها فى وسطها وقالت:

ـ سأرفع رأسك وأطيل رقبتك إلى أن تنحنى وأنت داخل من الباب.

ضحكنا وفى اليوم التالى كانت الأمور قد تبدلت فقد وصلت

تعليمات عمليات حربية من الفريق أول محمد فوزي رئيس أركان القوات المسلحة الى القوات المرابضة فى رفح...» ولما كنا فى سيناء مرتبطين بالقوات المسلحة نظرا لأن المنطقة مواجهة لإسرائيل فقد عشنا فى قسم طواريء مثل الجيش تماما. وكانت تعليمات العمليات مفاجئة وتقول:

(إن المعلومات تؤكد من مصادرها المختلفة نية إسرائيل فى العدوان على الجمهورية العربية السورية وفى ضوء اتفاقية الدفاع المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة «مصر» والجمهورية العربية السورية، قررت القيادة العليا للقوات المسلحة فى الجمهورية العربية المتحدة التدخل جوا وبرا في حالة قيام إسرائيل بعدوان شامل على الأراضى السورية بقصد احتلالها أو جزء منها أو تدمير القوات الجوية السورية)

خفت على أسرتى وقلت لزوجتى:

ـ إرجعا أنت وطفلتنا للقاهرة.

فرفضت ولم أستطع إقناعها.

فى يوم ١٦ مايو سنة ١٩٦٧ طلبت مصر سحب قوات الطوارىء الدولية الموجودة على حدودنا الشرقية وطلبت الأمم المتحدة سحب كل قوات الطوارىء الدولية على حدودنا الشرقية وفى شرم الشيخ وقطاع غزة باعتبارها نظام عمل متكاملا وأما أن تبقى كلها أو تنسحب كلها ولم تستطع القيادة السياسية التراجع فطلبت سحبها كلها وبدأت إسرائيل تحول القضية من تهديد إسرائيل لسوريا إلى قضية حرية الملاحة البحرية

لإسرائيل فى خليج العقبة.

وحاولت مرة أخرى مع زوجتى لتسافر مع ابنتى ورفضت تماما أن تتركنى بمفردى وقالت:

ــ أريد أن أشاهد النصر ودخول قواتنا إلى إسرائيل.

وفى يوم ٢٦ مايو بدأت تقوية منطقة رفح حتى لا ينعزل قطاع غزة عن سيناء وكلفت بالمهمة فرقة مشكلة حديثا بها لواءات من تشكيلات أخرى أنتزعت من مواقعها المخصصة لها فى الخطة الدفاعية . ونتيجة لذلك تحرك اللواء المشاة الذى يدافع عن العريش وتدرب كثيرا علي ذلك تحرك الى رفح وكلف لواءا أخر بان يحل محله فى العريش.

وبدأت المظاهرة العسكرية فى مدينة رفح تزيد الحماس بين المواطنين فقد خرجت مظاهرة سلمية تهتف: الموت لإسرائيل.

نموت نموت وتحيا فلسطين

لا لا جئين بعد اليوم

وارتفعت الأصوات من المكبرات تهلل للحرب والأغانى الحماسية تستمر إذاعتها من مكبرات الصوت طوال النهار وجزاء من الليل وكان لى اتصال بقائد القوة فى رفح فسألته:

ــ ماذ يحدث؟

وقال لى:

ــ كلنا حماس وننتظر هذا اليوم بفارغ الصبر.

وسألته:

ــ هل نحن مستعدون لهذه العملية الكبرى؟

قال بالم:

ـ مع قوات غير متجانسة . لقد تدربنا على الدفاع عن العريش كثيرا ولكن جئنا هنا وأتمنى أن تطول المدة قبل الحرب لأجهز قواتى.

تركته وعدت إلى بيتى أغنى:

راجعين بقوة السلاح
راجعين كما رجع الصباح
من بعد ليلة مظلمة
جيش العروبة يابطل
الله معك ،

لقد تأثرت بموجة الحماس الزائدة . وفى يومى ٥ يونيو صباحا. استيقظت صباحا ، ولبست ملابسى وقبلت زوجتى وابنتى وخرجت لعملى وما إن وصلت للمكتب حتى سمعت صوت انفجارات عنيفة فقلت للصول عنبر:

ـ ما هذا الضرب. هل هذا تدريب لقواتنا؟

ووجدت الصول عنبر وجهه قدأصفر وتلعثم فتركته ودخل الضباط بالقسم مكتبى وسألوا:

ـ ما هذا الضرب؟

نصف ساعة أتصل بالخط بيننا وبين القوات المسلحة بلا فائدة . ودخل جندى برسالة وصلت من الداخلية بمصر تقول:

ـ بدأت الحرب مع إسرائيل .. وزير الداخلية يوصى بالحقفاظ على الأمن فى الجبهة الداخلية.

فى هذه اللحظة وصلت القنابل التى كانت تلقيها الطائرات لداخل المدينة وحدث هرج ومرج وقال لى أحد الضباط:

ـ هيا بنا ننزل فى حفرة لحين انتهاء الغارة

فقلت له:

ـ لا سأمر على المدينة

وركبت عربتى ومررت على المدينة ووجدت نفسى أمام منزلى تذكرت زوجتى وابنتى فدخلت بسرعة فوجدتهما فى حالة هلع زوجتى تحاول أن تطمئن إبنتى بدون جدوى فقلت لها:

ـ لماذا أنت هنا؟

قالت لى:

ـ ماذا أفعل؟

أخذتهما للبدروم وأنا أقول لها:

ـ لماذا لم تسافرى للقاهرة حتى أطمئن عليكما وأتفرغ لعملى.

تركتهما وعدت للقسم وسألت عن آخر الأخبار فقال لى أحد الضباط:

ـ إسرائيل تهاجم قواتنا في محور رفح العريش من الساعة العاشرة حتى تخترق المواقع لفتح الطريق الساحلى الى العريش وعزل قطاع غزة عن سيناء.

سألته بلهفة:

ـ وهل نجحت؟

قال الضابط:

ـ القوات الإسرائيلية تكبدت خسائر فادحة.
قلتها بلهفة:
ـ وقواتنا؟
قال بحسرة:
ـ إستشهد قائد القوة ويقود المعركة الآن رئيس أركانه ويقولون المشكلةهى أن التجهيزات الهندسية لم تستكمل والجنود لا يعرفون هذه المنطقة جيدا.
سألت الضابط بدهشة:
ـ كيف عرفت هذه الأخبار؟
قالى لى:
ـ الملازم أول حسين من رفح ويعرف المنطقة جيدا وله شقيق ضابط بالقوات المسلحة ضمن القوات المدافعه عن رفح وبينما نحن نتكلم حضر حسن فسألناه بلهفة:
ـ ماهى آخر الأخبار؟
ـ استشهد رئيس الأركان والقوات الإسرائيلية اخترقت المواقع الدفاعية الساعة السابعة.
بينما نحن نتكلم سمعت أصوات الجنازير فاتصلت بالقاهرة فصدرت الأوامر بانسحاب قوة الشرطة للقاهرة حتى لا يقعوا أسرى فى أيدى الإسرائيلين.
ذهبت حزينا لبيتى وأخذت زوجتى وابنتى وركبنا العربة الجيب وتحركنا فى اتجاه القاهرة وأنا أبكى وفجأة أخترقت طلقة فردة كاوتش فوقفت العربة ولم تكن العربة تسير بسرعة

فقد كانت تقطع ونزلت لاستبدال الفردة بأخرى وبعد محاولات متعددة وجدت الفردة الأخرى غير صالحة ولم يكن أمامنا بد من السير على الأقدام حتى تعبت زوجتي ورقدت على الأرض قائلة:

ـ خذ أنت ابنتنا وارجع للقاهرة

صرخت فيها:

ـ كيف؟

قالت وهي تبكي:

ـ لا أستطيع السير أكثر من هذا

قلت لها:

ـ قومي قبل أن يلحق بنا الإسرائيليون.

رفضت لتعبها فجلست بجوارها وكل فترة أقول لها:

ـ هيا قبل طلوع النهار

أشارت لقدميها فوجدتهما متورمتين فقلت لها:

ـ قلت لك سافري للقاهرة

قالت وهي تبكي:

ـ ونتركك بمفردك أبدا . نموت سويا أو نحيا سويا.

نظرت لابنتي فوجدتها في حالة إعياء شديد وهي تقول لي:

ـ أريد أن أشرب

الجو حار ولا يوجد ماء. أنظر لها وأنا أتألم وطلع النهار وقمنا للسير وفاجأتنا أكثر من طائرة نجونا من قنابلهم ونمنا في الطريق وفي الصباح وجدت عربة نصف جنزير قادمة.

إختبأت مع زوجتي وابنتي خلف قبة ورحت أنا أراقب العربة وصرخت إبنتي.

ـ أنا عطشانة يا أبى.

وبكت بعنف. حاولت إسكاتها دون جدوى . واقتربت العربة من ناحيتنا وفجأة وقفت ونزل منها مجند ومجندة وكانا يضحكان وقبلها فارتمت في أحضانة وفكت أزرار بدلتها وخلعت ثيابها وهو فعل مثلها ومارسا الجنس أمامى دون أن يرياني وبعد أن فرغا ركبا عربتهما وسارا. نظرت لابنتي فوجدت وجهها مصفرا ولم تعد قادرة على الكلام من العطش وصرخت زوجتي:

ـ إعمل أى حاجة البنت راح تضيع مننا.

بكيت بعنف . ليس في يدى شيء أفعله. من أين أحضر لها الماء جلست أحفر الرمال وأحفر ظنا منى أنى سأجد الماء وأخيرا توقفت وقلت لزوجتي:

ـ هيا نسرع حتى نصل لأى مكان فيه ماء.

وقفت زوجتي وحاولت أن تمشي وفجأة وقعت على الأرض فقد أصبحت قدماها لا تستطيعان حملها تورمتا وحاولت أن أحمل زوجتي وابنتي لنسير ولم أقدر . فوقفت أتلفت من حولى وقالت إبنتي بصوت خافت:

ـ أريد أن أشرب . أى شيء.

بكيت ووجدت زوجتي هي الأخرى تبكي. ارتميت على الأرض وأناأدفعها بيدى بعنف قائلا:

ـ أخرجي ماء.. إبنتي عاطشة.

إكتشفت أنني الآخر عطشان ولكن لا يهم المهم إبنتي وفاجأتنا غارة جوية ولم نصب بأذى ونمنا مكاننا وفى الصباح نظرت إلى إبنتي فوجدتها لا تتحرك . هل ماتت صرخت بعنف.

إبنتي . حبيبتي

ماتت. ضاعت إبنتي . لم تتكلم زوجتي . لم تبك . لم تصرخ تسمرت الدمعة في عينيها. حملتها وسرت ولم أدر ماذا أفعل هل أدفنها هل ضاعت ضحكتها ولن تلعب معى بعد الآن. رجعت لزوجتى وقلت وأنا أبكي.

ـ ماتت

نظرت لى وهى صامتة . قلت لها:

ـ هيا لنسير

رفضت . نامت دون أن تبكى ومكثت معها إلى أن فاضت روحها ودفنتها فى الرمال وسرت. جامد المشاعر لاشىء أفكر فيه. وجدت نفسى فى بور فؤاد . عبرت القناة وسلمت نفسى لأقرب مركز شرطة. ونمت وشربت ولم يكن للنوم طعم ولا للشرب طعم ولا للأكل طعم.

تم نقلى إلى محافظة بورسعيد وبدأت الحياة تسير ولكنها أيام حزينة. بعث لى مدير الأمن وذهبت له فقال لى:

ـ إلى متى ستظل هكذا ياهيثم؟

نظرت له وبكيت فقال لى:

ـ آلا ترى أن البلد كله حزين؟

قلت له:
ــ بلى ياافدم وهل ما حدث كان بسيطا
قال لي:
ــ لو جلس الشعب والجيش والبوليس فى حالة حزن لدخلت إسرائيل لكل شبر فى مصر.
قلت له:
ــ رغما عنى يا فندم لقد فقدت زوجتى وابنتى.
قال لي:
ــ أعلم أنه حدث خلل ولكن لنؤجل الحزن الآن ولنلب نداء الوطن.
قلت له:
ــ كيف يا افندم؟
قال لي:
ــ لا تبك
قلت له:
ــ وماذا أفعل؟
قال:
ــ حول حزنك وبكاءك لعمل يخدم وطنك.

الفصـــل الثامن

اليوم يوم غير عادى.. فقد ذهبت لبورفؤاد وكان لى صديق ضابط بها وجلست معه فى الموقع وكان قائدا للفصيلة التى تحتل الموقع وتتكون من ثلاثين مقاتلا وفجأة قال الجندى المكلف بالإستطلاع:

ــ يا فندم هناك قول فوج دبابات يتقدم نحو الموقع.. كان حقدي على الاسرائيليين الذين تسببوا فى قتل زوجتى وابنتى كبيرا فقلت لصديقى:

ــ سأحارب معكم

قال لى:

ــ نعم نحن نحتاج لكل يد تحمل السلاح

قال لجندى المراسلة الذى معه:

ــ أعط لهيثم بندقية

وأخذت البندقية ورفضت أن أجلس مع صديقى وذهبت للخندق ووقفت فيه متهيئا للقتال.

وصاح قائد الفصيلة:

ــ عشر دبابات تدعمها ثلاث عربات نصف جنزير تتقدم نحو الموقع.

وفجأة إنهالت طلقات الدبابات على موقعنا وسقط جندى شهيداً وصاح قائد الفصيلة

ـ النصر أو الشهادة

وصاح الجنود:

ـ الله أكبر

ورأيت بعينى دبابة تحترق وصحت معهم:

ـ الله أكبر

وفتحت نيران بندقيتى على جنود المشاه معهم وأنا أصرخ:

ـ النصر أو الشهادة

وتدمرت دبابة ثانية

وتدمرت دبابة ثالثة

وانسحبت الدبابات بعد أن أخفقت فى اقتحام الموقع. شعرت ساعتها بالراحة كأننى انتقمت لزوجتى وابنتى.. وعاودت الدبابات الإلتفاف من الجنب وتدمرت عربة نصف جنزير وخسروا أعدادا كبيرة رجعت إلى بورسعيد وأنا انسان أخر.. كأننى غسلت نفسى..

وأنتقم الإسرائيليون بقصف مواقع المدفعية التى ساعدت قوات رأس العش بالطائرات وبعد انتهاء الغارة الجوية عادت المدفعية لتستأنف مهمتها.

عدت لبورسعيد إنسانا آخر. إنسانا غسل فى داخله شيئا.. وأخبرنى صديق قائلا:



وانسحبت الدبابات بعد أن أخفقت فى اقتحام الموقع.

ـ اللواء أحمد إسماعيل قائد الجبهة طلب استخدام قواتنا الجوية ضد العدو لرفع الروح المعنوية ولم يتأخر الفريق طيار مدكور أبو العز وفى يوم ١٤ يوليو سنة ١٩٦٧ قامت عشر طائرات ميج ١٧ تحميها عشر طائرات مقاتلة قامت بالهجوم على تجمع دبابات وعربات مدرعة للعدو فى القطاع الجنوبى وأصيبت طائرتان اسرائيليتان فى معركة جوية وتكررت الطلعات يوم ١٥ يوليو وارتفعت الروح المعنوية وأصبحت خلية حركة . برغم مهمتى فى الحفاظ على الأمن فى بورسعيد إلا أننى أتابع كل معركة وكل إشتباك.

وفى يوم ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ كنت في مركز قيادة الجبهة أزور صديقا لى ووجدت اللواء أحمد إسماعيل والعميد حسن الجريدلى رئيس عمليات الجبهة يتابعان تحركات المدمرة الإسرائيلية إيلات بالقرب من المياه الإقليمية لمصر فى منطقة شمال بورسعيد وكانت المعلومات تصل من قيادة قاعدة بورسعيد البحرية التى تتابع تحرك المدمرة وظلت المدمرة تدخل المياه الإقليمية باستفزاز ثم تبتعد لعرض البحر كأنها تظهر عجز القوات البحرية وتركت المركز ورجعت لبورسعيد لأعرف أسعد خبر! لقد خرج لنشان صاروخيان أصابا المدمرة إصابة مباشرة فأخذت تميل على جانبها وبعد إطلاق الصاروخ الثانى تم إغراق المدمرة الإسرائيلية إيلات شمال شرق بورسعيد بعد الساعة الخامسة مساء والتهبت المشاعر ولا أعرف لماذا تذكرت

لواحظ

وسألت نفسي:

ــ ماذا حدث لها؟

وقررت أن أعرف ماذا حدث فى محاكمتها ولكننى بمجرد رجوعى للإستراحة التى أسكن فيها نسيت وخاصة أن إسرائيلكانت قد بدأت تنتقم بضرب مدن القناة بالمدفعية واتصل بى صديق من القوات المسلحة فسألته:

ـ ما هو الموقف العسكرى الآن؟

قال لى بحزن

ـ إسرائيل ضربت معامل تكرير البترول و مستودعات البترول فى السويس بالمدفعية التى تتمركز شرق القناة فى القطاع الجنوبى لخط المواجهة.

قلت بلهفة:

ـ وماذا حدث لها؟

قال بأسي:

ـ فقدنا حوالى ٦٠٪ من كميات البترول

سألته وأنا أصرخ

ـ لماذا لم تسكتوا هذه المدفعية؟

قال لى:

ـ للأسف ليس لدينا القدرة الآن على إسكاتها.

وطمأننى قائلا:

ـ لكن اطمئن لقد أسرعت الدولة بنقل معامل

التكرير والمستودعات لأماكن متفرقة عمق الدولة فى.

قلت بغضب:

ـ إننا نضرب هدفا عسكريا وهم يضربون هدفا مدنيا وتدعى أنها حمل وديع بين وحوش عرب.

وبدأت إسرائيل تضرب الأماكن المدنية فى المدن على خط القناة وذهبت لمكتبى حزينا وقال لى ضابط زميل لى:

ـ هل سمعت آخر الأخبار؟

سألته بلا مبالاة:

ـ ماذا حدث؟

قال لى:

ـ لقد صدرت التعليمات بتهجير سكان القناة

قلت بدهشة:

ـ هل تهجر الدولة مليون مواطن؟

وقبل أن أكمل حديثى وصلتنى إشارة تقول:

ـ تحدد الساعة الخامسة اليوم اجتماع مع مدير الأمن

وذهبت للإجتماع وقال مدير الأمن:

ـ إننا فى مرحلة حاسمة من تاريخ أمتنا والمعركة ستكون طويلة وشرسة ولذلك قررت القيادة السياسية بالدولة تهجير كل سكان القناة لأنهم أصبحوا عرضة لإنتقام العدو ضد حرية عمل قواتنا المسلحه فى الرد على العدو لأننا نحارب أهدافه العسكريه وهو يضرب

أهدافنا المدنية.

سأل أحد الضباط:

ـ وهل سيتم ترحيل المواطنين فى مدة زمنية محدده.

قال مدير الأمن:

ـ من الليلة سيتم ترحيلهم وفى أقل وأسرع وقت ممكن وأضاف.

ـ الخطة موجودة وستوزع عليكم

أخذنا الخطة وانطلقنا . نجمع السيارات التى ستقل هذا العدد الضخم وساعدتنا القوات المسلحة بعرباتها وبدأت أقسى وأمر ساعات يمكن أعيشها لقد كان قلبى يعتصر المًا ولا أدرى فى هذه اللحظة لماذا تذكرت لواحظ وقلت:

ـ كم سنة سجن أخذت يالواحظ؟

وأعود فأقول لنفسى

ـ ربما تكون قد أخذت إعداما؟

وأعود فأقول:

ـ لا إن لها مبررات مخففة.

وأصمم على السؤال عما حدث لها وأتذكر قولها:

ـ عاهدنى أن تعطف على المولود الذى فى بطنى.

ولا أدرى لماذا تذكرت الصول عنبر حلال المشاكل وقلت لنفسى.

ـ ما أحوجنى لك ياعنبر لقد كنت مخلصا.

ومر تهجير المواطنين من سكان القناة بسلام وتجولت فى المدينة إنها أصبحت مدينة للأشباح صرخت:

ـ إلى متى ستظل هذه البيوت خالية

وعاد لسمعى صدى صوتى . ذهبت إلى مطعم وأردت أن أدخل لآكل ولكننى اكتشفت أن نفسى مصدودة فرجعت لمكتبى فوجدت إشارة تفيد بنقلي إلى القاهرة فذهبت لمدير الأمن وقلت له:

ـ لا أريد أن أغادر بورسعيد

سألنى:

ـ لماذا؟

ـ إننى وحيد والمعارك تشغلنى.

قال مدير الأمن.

ـ ياهيثم لقد تعمدت نقلك للقاهرة عسى أن تجد فتاة تشاركك حياتك.

قلت بفزع:

ـ أنا أتزوج بعد زوجتى التى ماتت.

قال بحنان:

ـ يابنى الحياة لابد أن تستمر والزواج يحمى من الإنحراف وفتصبح لك أسرة تكمل معها مشوار حياتك.

قلت بحسم:

ـ مستحيل يافندم أن أتزوج.

فقال لى:

ـ عموما نفذ النقل فلا رجعة فيه.

وذهبت للقاهرة وتسلمت عملى الجديد وبحثت كل عفش

شقتى التى كنت أسكن فيها مع زوجتى ريهام وتركت الشقة وأخذت شقة أخرى حتي لا أتذكر اللحظات السعيدة التى عشناها سويا. وكان لصاحب العمارة التى سكنت فيها ابنة اسمها عايدة حاولت أن تنشأ علاقة معى دون جدوى ولم تيأس فقد كنت أذهب من البيت إلى العمل والعكس فقط وفى يوم وأنا جالس بمكتبى . دق جرس التليفون وكان أحد رؤسائى الذى قال لى:

ـ هيثم إتجه إلى حلوان.

سألته:

ـ لماذا يا افندم؟

قال بحسم:

ـ هناك مظاهرات.

لقد صدرت أحكام المحكمة ضد القادة الذين تسببوا فى النكسة بالسجن والشعب كان يتوقع الحكم بالإعدام وكانت هذه الأحكام صدمة لمشاعر الناس، فخرجت عمال حلوان ومعهم أعضاء الإتحاد الإشتراكى بمظاهرات تهتف ضد هذه الأحكام . ولم تكن وزارة الداخلية على علم بما حدث وكانت النتيجة عجيبة الإتحاد الإشتراكى يقود مظاهرة ووزارة الداخلية تتصدى لها وحدث تصادم بين المتظاهرين والبوليس وذهبت إلى هناك فوجدت مظاهرات حاشدة وكدت أن أهتف معهم.

ـ يسقط من قتل زوجتى وابنتى

يسقط من عفر وجهنا وكرامتنا فى التراب.

هتفت فى سرى ولم أستطع الإعلان عن هذه الهتافات وتذكرت أننا فى مرحلة حاسمة لا تسمح بالكلام ولكن نتطلب الفعل فقط سألت أحد العمال:

ـ لماذا هذه المظاهرات؟

هتف بحماس:

ـ إن هؤلاء القادة رجعوا بمصر ألف سنة للوراء

قلت له:

ـ هل لك أحد شارك فى حرب يونيو؟

قال بأسى:

ـ أخى أستشهد دون أن يقاتل.

سألته:

ـ كيف عرفت؟

قال:

ـ كان معه صديقى وقال إنهم انسحبوا دون قتال.

تذكرت زوجتى وابنتى وبكيت فقال لى:

ـ لماذا تبكي؟

قلت وأنا أبتعد:

ـ لا شىء لا شىء.

شىء عجيب أن أذهب للاعتراض على مظاهرة فتكون مشاعرى كلها معها ورجعت لمكتبى وجلست حزينا وقلت لرئيسى:

ـ خلاص يافندم المظاهرة انفضت

سألنى:

ـ هل توجد وفيات؟

قلت له:

ـ لا ولكن إصابات ولم يبق منهم فى المستشفى سوى خمسة فقط.

ولكن الرقابة على الصحف جعلت طلبة الجامعات تثور. وصلت لهم معلومات هائلة وقالوا إن القتلى بالعشرات وكان لها رد فعل عاطفى عند شباب الجامعات ويوم ٢٤ فبراير شهدت الجامعات تحركات الطلبة وخرجت المظاهرات عند كوبرى الجامعة ولم تعترضهم الشرطة وسارت المظاهرات حتى مجلس الأمة وقابلوا رئيس المجلس وسمعت هتافات فى المظاهرات تقول:

ـ لا للإتحاد الإشتراكى العربى ألغوه.. ألغوه

ـ لا لمنظمة الشباب ألغوها .. ألغوها.

ـ حلوا مجلس القراطيس يقصدون مجلس الشعب.

وشعارات للمطالبة بالحرية والديمقراطية وحرية الصحافة وهتفت من قلبى معهم ولفت نظرى فتاة كانت فى المظاهرات فراقبتها إلى أن اختليت بها وسألتها:

ـ ما أسمك؟

نظرت لى باستهتار قائلة:

ـ ريهام السيد نصير

ما أن نطقت باسم ريهام حتى أقشعر بدنى إنها لفتت نظرى قبل أن أعرف اسمها.

الفصـــل التاسع

رغم سوء الفهم الذى قابلتنى به ريهام إلا أننى أقنعتها بأننى لا أناصبها العداء بل إننى متفق معها فى أفكارها وصار بيننا نوع من الألفة واطمأنت لى بعد أن حكيت لها قصة زوجتى وابنتى وكيف ماتتا:

قابلتها فى يوم وسألتها:

ـ منذ متى عملت بالسياسة؟

قالت بأسي:

ـ منذ دخولى الجامعة و..

قالت بحزن

ـ للأسف أقنعنى أحد الموتورين أن أنضم للإتحاد الإشتراكى العربي.

ـ وماله الإتحاد الإشتراكى

ـ مجموعة من الوصوليين

ـ كيف عرفت؟

ـ لقد عرفتهم جميعا وأقنعنى أحدهم بأن أكون يسارية.

قلت لها:

شيوعية.
قالت وهى تبكى:
ـ للأسف .
قلت بفزع:
ـ والآن.
قالت وهى تبتسم:
ـ الآن أنا مسلمه
قلت لها:
ـ ريهام لقد تأثرت بك من أول لقاء لنا.
نظرت لى فنظرت لعينيها الجميلتين وقلت:
ـ هل تتزوجيننى؟
لم تقل لى.
ـ سأفكر
ولكن قالت:
ـ يبدو أننى الأخرى قد أحببتك
وأدهشتنى جرأتها وذهبت إلى والدها وطلبت يدها ووافق وفجأة وجدتنى أكون أسرة جديدة وأنجب ثانيا
عشنا فى سعادة رغم أننى لم أنس زوجتي وابنتى وأنهما ماتتا بين يدي ولكن ريهام الجديدة جعلتنى أعيش فيهما وسألتنى يوما:

ـ هل تحبني مثل زوجتك السابقة؟

قبلتها وقلت لها:

ـ أنتما في نظري واحدة لا أثنتين.

قالت:

ـ ولكنني ثائرة وزوجتك السابقة كانت مستكينة.

قلت لها:

ـ كلنا في الفترة السابقة كنا ساكنين والآن كلنا ثائرون.

وضعت يدها على كتفي وهي تقول:

ـ أنت ضابط شرطة كيف تتكلم في السياسة؟

قلت لها:

ـ من الطبيعي ألا أجمع بين العمل في السياسة ووظيفتي كضابط شرطة ولكن كلامي في السياسة مطلوب لأنني مواطن مصري أنفعل بكل حدث سياسي يحدث في بلدي.

وذات يوم قلت لها:

ـ سأذهب إلى بورسعيد

قالت بدهشة:

ـ لماذا؟

قلت بفرحة:

ـ انتقلت إلى بورسعيد.
فكرت قليلا وقالت:
ـ سأذهب معك.
قلت بفزع:
ـ لا.
قالت وهى تدق على صدرى
ـ لن أتركك
قلت لها وأنا أتذكر زوجتى السابقة وابنتى.
ـ لقد نصحت زوجتى السابقة بالسفر وعدم حضور الحرب فى رفح ولكنها سببت لى مأساة.
قالت بحنان:
ـ ياهيثم العمر واحد والرب واحد.
قلت لها بحسم:
ـ اسف لن تسافرى معى.
قالت بحزن:
ـ وكيف ستعيش بدونك
قلت لها:
ـ كل زوجات ضباط الجيش يعشن بمفردهن وعموما إذهبى إلى أسرتك وعودى فى إجازتي.
قالت:

ـ وإجازاتك ما نظامها.
قلت لها:
ـ لا أعرف ولكننى سأتصل بك.
سافرت إلى بورسعيد وأنا أكاد أن أطير من على الأرض وبمجرد وصولى إلى مكتبي إتصلت بزوجتى وطمأنتها ولكن الشيء العجيب الذى حدث هوأننى تذكرت فجأة لواحظ وقلت:
ـ ياه لقد كنت فى القاهرة لماذا لم أسال عنها.
وقررت بينى وبين نفسى أن أسال عنها بمجرد أن أنزل وإجازة وقلت فى نفسى:
ـ أين مولودها الآن.
قررت أن أعطيها مبلغا من المال .. إنها ضحية.. قتلت زوجها لأنه كان سافلا ومنحطا.
دق جرس التليفون فرفعت السماعة فوجدت على الجانب الآخر صديقا من ضباط القوات المسلحة قال لى:
ـ أهلا بك فى بورسعيد.
سألته:
ـ كيف عرفت ؟
ـ قال لى:
ـ تعال لى الآن؟
كنت مرهقا ولكننى قلت له بفرحة.

ـ سأحضر لك حالا .

وذهبت له وكان يوم ٧ سبتمبر وبينما أنا جالس معهم قال لى صديقى:

ـ غدا يوم سيكون مشهودا .

سألته بدهشة:

ـ لماذا ؟

قال لى:

ـ تذكرنى باكرا .

وعزمنى على الغداء وتحدث كل الضباط عن بطولات منقطعة النظير وعن ضباط وجنود عبروا القناة للإستطلاع وقلت لهم بلهفة:

ـ متى ستحررون أرضنا ؟

وقال صديقى:

ـ هذه مهمتنا ولن يهنأ لنا بال إلا بتحرير أرضنا .

رجعت إلى الإستراحة ونمت ونسيت كلام صديقى ولكن فى اليوم التالى ٨ سبتمبر سنة ١٩٦٨ عرفت أن المدفعية المصرية قد فتحت نيرانها فى وقت واحد على طول مواجهة القناة من بورسعيد شمالا حتي السويس جنوبا ضد جميع أهداف العدو فى الخط الأمامى على الضفة الشرقية فى سيناء . إستمر الإشتباك بالنيران عده ساعات تكبد فيها العدو خسائر كبيرة

فى الأفراد والأسلحة والمعدات وجاءت التقارير توضح أن إسرائيل قد خسرت عشرة جنود قتلى وثمانية عشر جرحى . وحققت المدفعية المصرية فى هذا اليوم نجاحا وكالعادة كان رد الفعل الإسرائيلى هو قصف مدينة الإسماعيلية والسويس بنيران المدفعية واتصلت بى زوجتى قائلة:

ـ لم أعد أحتمل هذا العذاب.

سألتها:

ـ ماذا تقصدين؟

قالت وهى تبكى:

ـ كلما سمعت عن إشتباك أخاف عليك

قلت لها:

ـ والحل؟

قالت وهى مازالت تبكى:

ـ إما أن تنقل نفسك هنا أو أحضر لك أنا

قلت وأنا أضحك:

ـ وأين ثوريتك ؟

قالت وقد تماسكت:

ـ سأحضر لك أنا.

قلت لها:

ـ الدخول لمدن القناة بتصريح.

قالت:

ـ سأقول لهم إننى زوجتك.

قلت لها:

ـ غدا سآتى أنا لك إجازة

وفى اليوم التالى نزلت إجازة وقالت لى زوجتى:

ـ عندى خبر عظيم.

سألتها:

ـ ما هو؟

فقالت:

ـ أنا

ولم تكمل وأشارت إلى بطنها فقلت بفرح.

ـ سأصبح أبا.

ـ نعم

حملتها وأنا أضحك ولكننى أنزلتها وقلت لها

ـ حافظى على نفسك.

وقضينا يوما من أجمل أيام حياتى وفى الصباح كنت بمكتبى ببورسعيد ولم أنم إنه كان يوم ٨ مارس الذى كان بداية مرحلة الإستنزاف واتصلت بصديق لى أسأله:

ـ ما هى نتيجة كل هذه الإشتباكات

قال لى:

ـ لقد قصفت مدفعيتنا تحصينات ومواقع العدو التى أقامها الجنرال حاييم بارليف رئيس الأركان الإسرائيلى على الضفة الشرقية للقناة.

قلت له:

ـ كم استمر الاشتباك؟

قال لى:

ـ خمس ساعات أو أكثر قليلا.

قلت له:

ـ والنتيجة؟

قال لى بفرحة:

ـ تم تدمير جزء من مواقع العدو وإسكات بعض مواقع المدفعية.

ونمت سعيدا ولكن هذه الفرصة ضاعت فى اليوم التالى يوم ٩ مارس سنة ١٩٦٩ حيث اتجه الفريق عبد المنعم رياض رئيس الأركان إلى الجبهة ليشاهد نتائج قتال يوم ٨ مارس ويكون بين قواته فى فترة جديدة تتسم بطابع قتالى عنيف ومستمر لاستنزاف العدد وأثناء مروره ومعه اللواء عدلى حسن سعيد قائد الجيش الميدانى على القوات فى الخطوط الأمامية شمال الإسماعيلية وأصيب قائد الجيش واستشهد الفريق عبد المنعم رياض.

وعشت يوما حزينا وقاسيا واتصلت بى زوجتى ولمحت نبرة الحزن فى صوتى فقالت:

ــ مالى أراك حزينا.

حكيت لها عما حدث فقالت لى:

ــ لن تتحرر الأرض بدون تضحيات.

وسألتنى.

ــ متى ستنزل إجازة؟

حكيت لها

ــ غدا عندى مأمورية فى القاهرة

قالت:

ــ لقد اشتقت لك.

ونزلت إجازة . دفنت خلالها حزنى حتي أبدو سعيدا أمام زوجتى وقالت لى:

ــ أريد أن أسهر.

قلت لها:

ــ أين؟

قالت:

ــ فى فندق هيلتون.

تذكرت لواحظ وقلت فى نفسى.

غدا سأذهب إلى لواحظ لأعطيها النقود.

وذهبت مع زوجتي إلى الهيلتون لنسهر سويا وقالت زوجتي:
ـ هل تعرف لماذا طلبت منك أن نحضر إلى هنا؟
قلت بدهشة:
ـ لا
قالت:
ـ لترى كيف يعيش هؤلاء المصريون.
رأيت البذخ والمرح ومظاهر الفساد فقلت لها:
ـ هل تعرفين من هؤلاء؟
قالت مستفسرة:
ـ من
قلت وأنا أبتسم:
ـ أنهم الإشتراكيون.
كتمت ضحكتها وقالت:
ـ أنها وسيلة جيدة للنصب.

الفصـــل العاشر

لواحظ تلح على جدا.

اليوم سأزورها.

خرجت من منزلى وقد قبلت زوجتى واتجهت إلى سجن الإستئناف . وقابلت مأمور السجن وقلت له:

ـ أريد أن أزور لواحظ قاسم السيد إسماعيل.

قال مأمور السجن:

ـ إنها امرأة غريبة.

قلت بدهشة:

ـ لماذا ؟

قال مأمور السجن

ـ إنها فى حالة ذهول وتحتضن وليدها بأستمرار.

سألته:

ـ هل هو ولد أم بنت؟

قال لى:

ـ مولودها «...»

سألته:

ـ ماذا حكم عليها؟

قال:

ـ الإعدام شنقا.

لا أدرى لماذا تضايقت وقلت له:

ـ إن زوجها كان مجرما كان يستحق الشنق بدلا منها هو الذى دفعها لقتله.

سألنى المأمور:

ـ لماذا أنت مهتم بها؟

قلت:

ـ جئت لأعطيها مبلغا لمولودها.

أرسل فى طلبها وجاءت وقد تبدل جمالها. فقد أصبحت امرأة عجوزا رغم أنها شابة وقد صارت ذابلة نحيفة جدا نظرت لى بذهول فقلت لها:

ـ إزايك يا لواحظ.

قالت بصوت خافت.

ـ تسلم يا بيه.

قلت وأنا ألفت نظرها:

ـ إنت مش عارفانى يالواحظ.

نظرت لى نظرات زائغة فقلت لها:

ـ أنا الذى حققت معك فى رفح

قالت بدهشة:

ـ رفح إيه يابيه.

أدركت أنها لم تعد تدرك الواقع الذى تعيش فيه فأعطيتها مبلغا وقلت لها.

ـ خدى يالواحظ هذا المبلغ لك.

قالت:

ـ هو خلاص راح اتعدم يابيه

قلت لها:

ـ المأمور عمل لك طعن يالواحظ.

كانت تحتضن مولودها وكأنه سيهرب منها. تركتها ورجعت بيتى وأنا حزين لحالها:

سألتنى زوجتى:

ـ مالك؟

قلت وأنا أتنهد:

ـ لا شىء

حاولت أن تقبلنى لكنى صددتها فقد كنت فى حالة لا تسمح لي بأن أطارحها الغرام.

نمت ساهما بل لم أنم نهائيا وزوجتى تسألنى.

ـ مالك؟

وأنا أقول لها:

ـ لاشىء

سافرت إلى بورسعيد ووجدتها متغيرة لقد قدرت اسرائيل أن الأعمال القتالية للقوات المصرية تتطور بطريقة سريعة جدا.

وأعادت إسرائيل نظرها فى سياستها العسكرية ووجدت أنها تتحمل خسائر كبيرة وقد بدأت هذه الخسائر تؤثر على المجتمع الإسرائيلى وخافت إسرائيل أن تستدعى عددا أكبر من رجال الإحتياطى لخدمة العمليات وأدركت أنها لو استمرت فى هذا الموقف فهذا يعني نجاح القوات المصرية فى استعادة الثقة بنفسها وأن السخونة على الجبهة تؤثر علي الموقف السياسى.

وجدت إسرائيل أن الحل الفعال هو اقحام قواتها الجوية فى حرب الإستنزاف ضد مصر والإنتقال من أسلوب الردع المحدود بنيران الأسلحة البرية إلي أسلوب الردع الجسيم بسلاحها الجوى وهو قوتها الضاربة الرئيسية والتى لم تستخدمها منذ حرب يونيو وكان هدفها هوتعطيل آله الحرب المصرية والضغط المعنوى على الشعب المصرى لإضعاف الجبهة الداخلية.

وبدأت الطائرات الفرنسية الحديثة السوبر مستير والميراج والطائرات السكاى هوك من صفقة بدأت اسرائيل استلامها من مارس ١٩٦٩ وأيضا الطائرات الفانتوم A٤ الأحدث التى تقرر إرسالها لإسرائيل ٤ طائرات شهريا إعتبارا من شهر سبتمبر سنة ١٩٦٩.

والقوات الجوية المصرية لم تكن قادرة على مواجهة السلاح الجوى الإسرائيلي نتيجة لسياسة السوفيت بعدم تزويد مصر بأسلحة هجومية وقد قارن فى يوليو سنة ١٩٦٧ جمال عبد الناصر فى اجتماعه مع بود جورنى بين الطائرات الإسرائيلية والطائرات المصرية من حيث المدى والكفاءة وطلب عبد الناصر طائرات تصل لعمق إسرائيل ولم يستجب لهذا الطلب إلى أن دخلنا حرب ٧٣ .

فى ٢٠ يوليو سنة ١٩٦٩ بدأت سماء بورسعيد تملؤها الطائرات الإسرائيلية وبين حين وحين ننزل فى المخبأ .

إتصلت بي زوجتى ووجدتها تصرخ:

ـ تعال بسرعة.

قلت بدهشة

ـ لماذا؟

قالت:

ـ إبننا يموت.

كنت فى حيرة ماذا أفعل واجبى يحتم على ألا أغادر بورسعيد فى هذه الظروف وإبنى يموت تذكرت ابنتى وهى تموت أمام عينى ولا أستطيع أن أمنع الموت عنها بشربة ماء.

قلت لزوجتى:

ـ ماذا عنده؟

قالت:

ـ جسمه مولع نار

قلت بسرعة

ـ وهل ذهبت للطبيب

قالت وهى تبكى:

ـ أربعة أطباء.

قلت لها:

ـ وماذا قالوا:

قالت:

ـ كل طبيب يقول كلاما مختلفا عن كلام الآخر.

فاجأتنا غارة جوية ولكن للهفتى على إبنى فقدانتظرت فى المكتب والجندى يقول لى:

ـ غارة يافندم.

قلت له بنرفزة.

ـ أسكت.

قال غاضبا:

ـ راح يضربوا يافندم المبنى بتاعنا.

سألتنى زوجتى:

ـ ما هذه الجلبة عندكم؟

قلت لها:

ـ سأكلمك بعدين.

ووضعت السماعة ونزلت إلى المخبأ ولم أستطع الصمود فنزلت إجازة وحملت ابنى إلى المستشفى فقال الطبيب:

ـ أتركه لنا.

تركته مع أمه بالمستشفى ووجدت قدمى تجرنى إلى لواحظ وقابلتها وسألتها:

ـ فوقى يالواحظ.

نظرت لي نفس النظرة الشاردة ولم أستطع أن أكلمها لأنها كانت فى حالة ذهول وهى تقول لى:

ـ خلاص راح يشنقونى يابيه.

قلت لها:

ـ النقض سيخفف الحكم يالواحظ.

وجدت نفسى أقبل مولودها وسألتها عن الإسم.

فقالت وهى ترفع يديها إلى السماء:

ـ منك لله

قلت لها بدهشة:

ـ من؟

قالت:

ـ عطا

خرجت لواحظ وسألت مأمور السجن.

ـ ماذا تم فى النقض؟

قال لى:

ـ رفض

قلت له:

ـ متى ستعدم؟

قال لى:

ـ لم يحدد بعد

كنت أبكى.. وقلت له.

ـ عطا الفاسد المجرم هو الذى دفعها إلى قتله.

وسألنى عن الحرب فقلت له:

ـ يوم ٦ يناير ١٩٧٠ عقد المجلس الأعلى للقوات المسلحة برئاسة جمال عبد الناصر إجتماعا قدم فيه الفريق محمد فوزى تقريرا عن موقف القوات المسلحة حتى آخر عام ١٩٦٩.

سألنى المأمور:

ـ كيف عرفت هذه المعلومات؟

قلت له:

ـ من صديق.

سألنى:

ـ وماذا قال التقرير؟

قلت له:

ـ قام العدو بـ ٣٥٠٠ طلعة جوية لضرب وسائل الدفاع الجوى وقوات الجبهة وخسرنا ١٦ ضابطا و ١٥٠ رتبة أخرى استشهاد أما عن الجرحى فكانوا ١٩ ضابطا ٢٩٩ رتبا أخرى.

وخسائر العدو ١١ طائرة مختلفة الأنواع(٥ مروحية ـ ٢ ميراج ـ ٣ سكاى هوك ـ ١ مستير) وأسر ضابط اسرائيلى وقتلنا وجرحنا أعدادا لم يتم حصرها بعدوإن كانت وسائل الإعلام الأجنبيةقد قالت على لسان موشى ديان إنهم ١٢٣ قتيلا ٣٢٠ جريحا.

وقد قامت قواتنا الجوية بعدد ٢٩٠٠ طلعة جوية للحماية منها ١٧٠ طلعة ضد أهداف أرضية ٧٠ طلعة استطلاع جوى كما تمت ٢٢ معركة جوية اشتركت فيها ١١٠ طائرات مقاتلة مصرية ضد ١٣٠ طائرة اسرائيلية وخسرنا ٢٣ طائرة وخسر العدو ١٤ طائرة.

قال مأمور السجن:

ـ وما نهاية هذه المأساة؟

قلت له:

ـ الله أعلم ولكن لا حل لنا سوى الإستمرار فى الحرب.

رجعت إلى زوجتى وابنى فى المستشفى وقالت زوجتى ضاحكة.

ـ الحمد لله إبننا أصبحت حالته مطمئنة

كنت أطير من الفرح ثم توقفت وظننت أنها تخفف عني فذهبت إلى الطبيب الذى قال لي:

ـ الحمد لله عبرت المرحلة الخطرة علي خير

سألته:

ـ هل يمكن أن أخذه إلى البيت

قال الطبيب

ـ الآن لو أحببت

حملت طفلى الذى يتقارب فى عمره مع الجنين الذى ولدته لواحظ ورجعنا إلى البيت وطارحت زوجتي الغرام وسألتني:

ـــ لماذا كنت حزينا ؟

هممت أن أحكى لها قصتى مع لواحظ ولكن جرس الباب دق ففتحت الباب لأجد صديقا فجلست معه ونسيت قصة لواحظ.

رجعت إلى بورسعيد لأجد أن الغارات قد اشتدت ضراوة وأصبحت المدينة والمواقع المصرية جحيما لا يطاق ورغم ذلك فقد كان عزم الرجال شديدا وسألت أحد الضباط بالقوات المسلحة:

ـ كيف تعيشون يومكم فى هذا الجحيم؟

ضحك وقال لى:

ـ عربة التعيين تأتى فى المساء ونأخذ الطعام ونبدأ يومنا بعد غروب الشمس.

قلت له.

ـ وبالنهار .. ماذا تفعلون؟

قال:

ـ مراقب واحد فى كل مكان محدد يراقب العدو والباقى في المخابىء ونتظر الإسرائيليين.

قلت له:

ـ ألا تخشونهم.

صاح فى:

ـ ليتهم يجربون أن يأتوا سنأكلهم بأسناننا.

وأكمل كلامه:

ـ بل إننا نتوق للحظة التى نعبر القناة لنريهم من هم أولاد النيل.

كان هذا الكلام يسعدنى ويطمئننى وإزدادت إسرائيل وحشية وبدأت بضرب العمق المصرى . وأرسل كوسجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى يوم ١٣ يناير سنة ١٩٧٠ مذكرة شديدة اللهجة إلى الرئيس الأمريكى نكسون يطلب فيها وقف الغارات الجوية الاسرائيلية ويحمل إسرائيل وأمريكا مسئولية استمرار القتال فى منطقة القناة وفى العمق المصري فإن

الاتحاد السوفيتى قد يزود مصر بأسلحة متقدمة متطورة ورد نكسون برسالة عنيفة يرفض فيها وجهة نظر الاتحاد السوفيتى فى تطور الأحداث ويلقى مسئولية تطور الموقف العسكرى على عبد الناصر لأنه انتهك ايقاف النار وبدأ حرب الإستنزاف.

وأرسلت وزارة الخارجية الأمريكية تحذيرا إلى وزارة الخارجية السوفيتية أن أمريكا مستعدة للتفاهم على إيقاف النار وإذا صعدت روسيا الموقف بتزويد الدول العربية بأسلحة متطورة فإن أمريكا ستنظر لإعادة النظر في سياستها لتسليح إسرائيل.

وكانت أمريكا تهدف إلى استمرار القصف الجوى الإسرائيلى فى عمق مصر حتى توقف مصر - مرغمة - حرب الإستنزاف.

وقد قدمت أمريكا فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٧٠ رسالة لمصر جاء فيها أن الولايات المتحدة تشعر بالقلق بالنسبة للغارات الإسرائيلية فى العمق المصرى وتشعر بالأسف على الضحايا الذين يسقطون نتيجة لهذه الغارات وتنصحنا أن نعلن فى الحال قبولنا وقف إطلاق النار كما صرح مجلس الأمن فى يونيو ١٩٦٧.

ومعنى هذا الكلام ألا نربط وقف النار بإنسحاب إسرائيل وإن لم نوافق ستستمر الغارات الإسرائيلية فى العمق ضد

الأهداف الإقتصادية والمدنيين.

بدأت حالتى النفسية تسوء . وأسال نفسى:

ـ هل ستتحرر أرضنا أم ستبقى هكذا طول العمر.

وكانت زوجتى كثيرا ما تناقشنى فى هذه الأمور فتقول:

ـ أنا مستعدة للقتال مع الرجال ضد إسرائيل.

واضحك قائلا:

ـ مازلت ثورية.

فتقول لى:

ـ وإلى آخر العمر أنا ثورية.

رغم أنها كانت أحاديث هامشية إلا أنها كانت تسعدنى، إذن فى مصر شعب صامد حتى النساء والأطفال.

والدليل كان موجودا فى تنفيذ وإنشاء التجهيزات الهندسية الدفاعية للدفاع الجوى والقوات الجوية وقد اشتركت فى هذا العمل المجيد جميع شركات المقاولات المصرية للبناء والتشييد والطرق متعاونة مع سلاح المهندسين العسكريين بقيادة اللواء المهندس جمال محمد على وأصبحت إرادة ضد إرادة وكان الصراع رهيبا.

العدو يركز كل مجهوده وكل سلاحه الجوى لمنع مصر من إنشاء التحصينات والمواقع حتى لا تدخل الصواريخ المضادة للطائرات فى منطقة قناة السويس بينماكانت كل قوات الدفاع

الجوى المصرى تحتشد لحمايتها حتى يستمر الإنشاء.

الطائرات الإسرائيلية تهاجم وتدمر وتقع الخسائر ويتم التدمير وبمجرد إنتهاء الغارة الجديدة يستأنف العمل ليلا ونهارا ووصل حجم الأعمال الهندسية التى نفذت لصالح الدفاع الجوى بين القاهرة ومنطقة القناة وباقى أنحاء الجمهورية ١.٦ مليون متر مكعب من الخرسانة المسلحة ١.٤٢ مليون متر مكعب من الخرسانة العادية ١٢.٥ مليون متر مكعب من أعمال الأتربة ومئات الكيلو مترات من الطرق الأسفلتية والطرق المثبتة بمواد تثبيت وبلغ حجم الإنفاق في الأيام الأولى مليون جنيه يوميا.

وكنت فى بورسعيد فى يوم ٣٠ يونيو ١٩٧٠ وصفقت وأنا أسمع أن الطائرات الإسرائيلية فوجئت بوجود صواريخ الدفاع الجوى المصرى فى مواقعها تكبدها خسائر لم تكن فى الحسبان وجن جنون قيادة السلاح الجوى الإسرائيلى وأرسلت طائراتها لإختراق هذا الخط وتدميره وكانت النتيجة المزيد من الخسائر فقد أسقطت قوات الدفاع ثلاث طائرات يوم ١٩٧٠/٦/٣٠ وطائرتين يوم ٧/٢ وثلاث طائرات يوم ٧/٣ كلها فانتوم واسكاى هوك وخافت إسرائيل من تآكل سلاحها الجوى وصرخت جولدا مائير قائلة:

– إن كتائب الصواريخ المصرية كعش الغراب كلما دمرنا

إحداها نبتت أخرى بدلا منها إن المصريين زرعوا كل الأرض قرب القناة بالصواريخ والله وحده يعلم أين سيجد المصريون مكانا لزراعة أعداد أخرى بالمنطقة.

لم ترتفع روحى المعنوية أنا وحدى ولكن زوجتى هى الأخرى إرتفعت معنويتها ونسيت لواحظ.

وتقدمت أمريكا بمبادرة روجرز يوم ١٩ يونيو سنه ١٩٧٠ بإيقاف النار بين مصر وإسرائيل لمدة تسعين يوما وأن يستأنف السفير يارنج عمله لوضع القرار ٢٤٢ موضع التنفيذ ووافقت مصر على المبادرة على أن يسرى قرار وقف إطلاق النار اعتبارا من الساعة الواحدة صباح يوم ٨ أغسطس سنة ١٩٧٠ بتوقيت القاهرة.

ونص الأتفاق على عدم تغيير الوضع العسكرى فى داخل المنطقة للطرفين إدخال أو إنشاء أية مواقع عسكرية فى هذه المناطق ويقتصر أى نشاط على صيانة المواقع الموجودة وتغيير وإمداد القوات الموجودة فى هذه المناطق.

قامت مصر بإستكمال تجهيز المواقع الضرورية لشبكة الدفاع الجوي وقد تم ذلك بسرعة ومجهود كبير فى ساعات الليل السابقة على الواحدة صباح يوم ٨ أغسطس موعد سريان وقف إطلاق النار ووجدت إسرائيل نفسها صباح اليوم التالى أمام شبكة متكاملة من مواقع صواريخ الدفاع الجوى فى

صورته النهائية دون خرق بنود الأتفاق بمجرد سريانه وبذلك فرضت قوات الدفاع الجوى الغطاء بالصواريخ لكل منطقة القناة وكان هذا هواللبنة الأولى فى صرح الإنتصار الذى حققته القوات المصرية فى حرب أكتوبر.

رغم هذه الإنجازات كنت أستمع للإذاعات العربية لأعرف رأيهم فى المبادرة وكانت الآراء كالآتى:

الأردن:

وافقت على المبادرة وعارض بعض الوزراء ويحتمل استقالة الوزراة وقال الملك حسين إنه وافق بعد أن فوجىء بموافقة مصر.

سوريا:

رفضت سوريا المبادرة وحزب البعث ينادى باستمرار الكفاح

السودان:

أيدت المبادرة.

ليبا:

أيدت المبادرة.

لبنان:

تؤيد المبادرة

الكويت:

ترى أن قبول المبادرة لا يمنع استمرار الكفاح الفلسطيني.

المغرب:

يبعد ٤٠٠٠ كم عن ميدان القتال.

الجزائر:

لم تعلق.

العراق:

رفضت العراق المبادرة.

حكومة البعث لاتحارب ولكنها تحارب بالكلمات وقد قال جمال عبد الناصر في حزب البعث:

من سوء الحظ أننا لا نستطيع أن نثق فيكم.. إن جميع تجاربنا السابقة معكم تدعونا إلى الشك فيكم وفي كل ما تتقدمون به، إن تحرير فلسطين لن يكون بالكلمات وإنما تحرير فلسطين يكون بالدم إنكم تتحدثون عن معركة قومية وأنتم في الحقيقة لا تقومون إلا بمناورة حزبية.

لقد حان الوقت حتي تعرفوا أن الأمة العربية لم تعد تستطيع تحمل المناورات لأنها تقف الآن موقف الجد والخطر ولأنها تقاتل دفاعا عن حياتها ومصيرها.

ووجه جمال عبد الناصر هذه الأسئلة لرئيس العر اق:

ـ لماذا لم تتقلق قواتكم علي الجبهة في أي وقت من الأوقات أمرا بالإشتباك مع العدو؟

ــ لماذا لم تقم طائرة من طائرتكم بالإغارة على مواقعه؟

ــ لماذا لا يوجه العدو اشتباكاته نحو قواتكم . ولماذا لا يوجه طائراته نحوها؟

ــ المنظمات الفدائية:

ــ الجبهة الشعبية الديمقراطية.

ــ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

وهما منظمتان مشبوهتان تتصلان بالبعث العراقى ومخابرات أجنبية.

ــ أما فتح فقد رفضت المبادرة.

اليمن:

وافقت

السعودية:

لم تعلق

تونس:

لم تعلق

اليمن الجنوبية:

لم تعلق

ــ أما فى إسرائيل فقد سجل إيبان وزير خارجية إسرائيل:

إن وقف إطلاق النار قد استقبل فى إسرائيل بشعور الرضا وحينما أعلنت مس مائير فى التليفزيون عن وقف إطلاق النار فإن رد الفعل الشعبى كاد يتساوى حتى ولو توصلنا إلى تسوية سلمية فنشرات الأخبار إن تبدأ بالصوت الحزين لمذيع الراديو وهو يذيع أسماء الشباب الإسرائيلى الذى سقط فى المعركة.

وعبر الجنرال وايزمان وزير الدفاع عن رأيه فى حرب الإستنزاف بقوله:

عندما وافق المصريون على إيقاف إطلاق النار أيقنا أن ذلك معناه إعتراف منهم بأنهم لم يتحملوا القصف أكثر من ذلك؟

وأخذ قادة إسرائيل يرددون أن إسرائيل كسبت حرب االإستنزاف.

الفصـــل الحادى عشر

فى فتـرة اللاحرب واللاسلم كل شـىء يكون مملاً والإنسان قلقا.

اليوم قررت أن أطوف بالمدينة لأشاهد أشباح مدينة وبينما أنا سائر فى المدينة سمعت جلبة وتقدمت إلى الجمع

وسألت :

ـ ما هذا؟

ـ جاسوس

خلصت الرجل من أيديهم بعد أن كانوا أن يفتكوا به وكدت أن أسقط من طولي عندما رأيت الرجل هل تعرفون من هو:

إنه عطا

نعم عطا زوج لواحظ

إذن لواحظ بريئة.

أخذته إلى مباحث أمن الدولة وعرفت أنه كلن قد أختفى من رفح لأنه سافر مع غلوش إلى إسرائيل لجلب صفقة حشيش وقد نجحت إسرائيل فى تجنيده كجاسوس وقد ضبطه الناس

وهو يصور مدفعا مضادا للطائرات ووجدت معه خرائط سألت نفسي:

ـ لكن الكلب البوليسى استدل على لواحظ.

وسألت نفسي ضابطا زميلالي:

ـ هل يمكن للكلب البوليسى أن يخطىء؟

ولما عرف مني الحكاية حكى لى حكاية متشابهة مع حكايتى وقال إن الصول عنبر لكي ينهى القضية ويكسب بالتاكيد جعل لواحظ السانجة تحمل جزء من ملابس القتيل لتظل رائحتها عالقه بها.

تمنيت فى هذه اللحظة أن أقتل الصول عنبر وقد علمت بعد ذلك أنه تعاون مع سلطات الإحتلال وقتلته منظمة سيناء الفدائية.

سافرت إلى القاهرة واتجهت مباشرة لسجن الإستئناف وسألت عن لواحظ:

وللأسف قالوا لى:

لقد أعدمت فى الأسبوع الماضى.

أنهرت وبكيت وسألت عن مولودها وعرفت دار الحضانة التى استقبلته وأخذته.

زورت شهادة ميلاد له وكتبته بإسمى وباسم زوجتى وحلفت عليها بالطلاق إن هى أخبرت أحداً بذلك ولم تسألنى زوجتى عن

هذه القصة إلى أن حكيتها لكم اليوم.

هل تعرفون ماذا فعلت بعد ذلك؟

قدمت أستقالتى فأنا لا أصلح أن أكون ضابط شرطة فقد تسببت فى قتل نفس بريئة عندما سلمت مسئولياتى للصول.

وحاول قادتى أن يثنونى عن الإستقالة لأننى كنت أكفأ الضباط ولكننى رفضت.

وعملت في المحاماه لمساعدة المظلومين.

نظرت زوجته له ونظر له أولاده وقال ابنه عادل:

ـ هل أنا أبن لواحظ؟

وقال نور:

ـ هل أنا ابن لواحظ؟

وقال سمير:

ـ هل أنا ابن لواحظ؟

وقالت أمانى هل أنا إبنة لواحظ؟

وقال هيثم:

ـ ليس المهم من منكم ابن لواحظ ولكن المهم أن تستفيدوا من حكايتى مع لواحظ التى ظلمتها وأحببتها ومازال ذنبها عالقا فى رقبتى سيسألنى عليه الله يوم القيامة.

علي عبدالفتاح
الناقد بجريدة الرأي الكويتية

رواية تعلمنا
الا نخجل من آثامنا

هذه رواية الشخصية المعقدة
ROUND CHARACTER .. والتى تمضى فى دروب وعرة تتغير ثم تحاول النهوض مرة أخرى لتقاوم تياراً من أهواء النفس ك الجشع.. الأثرة.. الحقد .. الإنتقام. والشخصية المعقدة هي التي يدور حولها نسيج الأحداث وتؤثر فى الشخوص الثانوية أو العادية داخل سياق الرواية.. وقد يهتم الفنان بإضافة لمسات إنسانية إلى أبطاله ليبرز كيانهم ووجودهم الواقعى الذى قد يتناقض مع الآخرين.

فن تصوير الشخصية يضيف متعة إلى ذهن القارىء فنحن قد إشتد إعجابنا بشخصيات فنية كثيرة منها السيد عبد الجواد فى الثلاثية. سعيد مهران فى اللص والكلاب، فوتر فى رواية «الأم فارتر لجوتة. زيفاجو فى رواية د. زيفاجو وجان فالجان فى البؤساء لهوجو وغير هامش التجسيد المرهف.. والتصوير النابض بالحياة لهؤلاء الأبطال الذين يعانون من ضربات القدر وتناقضات الواقع وزيف

الحائق وسقوط القيم وانغماسهم فى الخطايا والرذائل.

وعندما نسج نبيل خالد تفاصيل رواية «حياة مغتصبة» أشار من خلال أسم هذا العمل إلى طبيعة المواقف التى سوف تواجهنا . إنها بكل بساطة حياة تغتصب .. حياة تسلب من أعماقنا وتنهار.. وقد تواجه بعد ذلك الردى والفناء.

فكيف نحيا فى واقع مغتصب.. مسلوب من كياننا. متهتك.. ممزق فى أعماقنا؟

هذا التساؤل يطرحه الأديب نبيل خالد فى ثنايا الأحداث .. التى تتفاعل .. وتتفرق روافدها.. ثم تتلاقى وتنتمى إلى الإنسان ووجوده وموقفه.

فالأدب فى البداية إنسانى النزعة.

وأدب نبيل خالد يغرف من بحر الواقع .. يشكل فى تفاصيله.. شخوصه.. قيمه.. مبادئه.. شعاراته الكاذبه .. فضائله.. آثامه..

ويمزج هذا بذاك..

ليتكون الأبطال المتصارعون على المال.. والشهوة.. والجنس والمتعة ولذة الدنيا واغراءاتها.. ثم أيضا ضربات النفس المغتولة بالخيانة..

والروح المفجوعة بالغدر.. والصباح المطعون فى نهاره والشمس المنكسرة الضوء..

وترى أمامك .. النفس الإنسانية فى فطرتها..

بوحشيتها أو وداعتها.. رقتها أو قسوتها.. إنتقامها الرهيب أو تسامحها الجميل..

ولذلك حين ينظر الأب «هيثم » ليتفحص وجوه أولاده الشباب إذا بالأب يقرأ تاريخ الخطيئة على وجوههم.

إنهم لمذنبون.. أفاقون.. متمردون على نبع الطهر والقيم الإنسانية.

ويحاول البطل أن يواجه الشر الذى يطل من عيونهم ويغير مسار الأيام القادمة ويضىء مصباحا في عتمه هذا الظلام.

ويبدأ الرواية.. يبدأ بصدمة يقررها: هناك منكم من هو ابن «لواحظ» هناك من ليس بشقيق الآخرين؟

وكان القدر هنا يعلن بداية النزول إلى أرض العصيان«..» وبلاد الخطايا . إنه اللغز الذى يحير الإنسان، فهل يمكن إيجاد الحل لهذه الطلاسم المبعثرة؟

وتكون بداية المعصية مع الأب حين أغتصبت لواحظ عنوة

وأجبر المغتصب على أن يتزوجها فترضخ وتستسلم.

ويمعن البطل فى الضلال ويشق دروب الفساد حتى يسقط هو الآخر تحت أنياب تلك الطلاسم الغريبة وتنتقم منه قوى خفية لا يدرى عنها شيئا.

فهاهى زوجته تغتصب مرة أخرى ولكن بقوى شريرة طاغية عتيقة فى الإجرام هو «غلوش» تاجر المخدرات وزعيم مملكة الشر.

ويصبح الأبطال لعبة فى يد الظروف وفى مهب الريح بلا حول لهم ولا قوة. كائنات شريرة مازالت يطاردها الشر.. ويغوى بها الإثم.. ويعانقها الفساد فى كل مكان.

فهل كانت البطلة المغتصبة امرأة شريرة وفاسدة وقاتلة؟

حروب تدار.. أحداث.. رحيل إلى إسرائيل.. رغبات مكبوتة تبحث عن منفذ أو قرار.. وحرب الإستنزاف.. والموت يتعقب كل الأبطال..

فمن القاتل؟

ومن المظلوم؟

من المتهم الحقيقى؟ والمذنب؟ ومن هو البرئ؟

الأديب لا يشير لك إلى الحلول ولا يحاول إصدار أحكام

عامة.. بل يحلل الموقف ويفسر صراعات النفس ويصف أهواء الذات..

ويتركنا فى عاصفة من غيوم..

ومرايا الحلم..

ونرى وجوهنا أمامنا بكل واقعها..

ونشعر بالسخط..

نشعر بالقهر..

نشعر بالألم..

وفى النهاية لابد أن نكون قد استوعبنا رسالة جميلة من الأديب نبيل خالد.. أن الهزيمة الحقيقية ليست هزيمة الأرض عام ١٩٦٧ وإنما هى هزيمة النفس وإنسحاق الإنسان..

وإذا بدنا تحرير الأرض كان لابد أن نحرر الشعب من كل هذه الأمراض التى تعشش فى قلبه وفى وكيانه.. نحرره من الخوف.. والكبت والقهر.. ونمنحه الحرية وإحترام الذات.. والكرامة.

إن الرواية حافلة بدلالات سياسية كثيرة ورموز فنية وأعتقد أنها صورت فترة من تاريخ أمتنا انكشف فيها الجرح.

ونزف الشريان.

والقضية الحقيقية هى أن نعرف من نحن؟

وماذا قدمنا؟ وكيف سنكون؟!

وبطولة الإنسان ليست فى إستعراض ثرثرته ، وإنما هى أعماله الجليلة.

إن رواية حياة مغتصبة تعود بنا إلى هذا الأدب الكلاسيكى الحافل بالأحداث خلال فترة طويلة في حياة الأمة العربية.

لابد وأن نراها.. ولا نخجل منها إطلاقا.

والأديب نبيل خالد يعلمنا أن لا نخجل من آثامنا «وعيوبنا» وضعفنا الإنسانى .. وإنما لابد أن ننهض ونتسامى.. ونتجاوز الجرح.. وتشف روحنا إلى عالم البراءة والجمال.

بقلم : على عبدالفتاح
٢٣/ ٧ / ١٩٩٨

أقتنى سلسلة روايات ذهبية للجيب

نبيـــل خـــالد









مؤلفات نبيل خالد

الأكثر انتشارا بالبلاد العربية

قصص سياسية ذات مضمون أخلاقى

١ـ فنانة عربية
٢ـ هدى ومعالى الوزير (تحولت لفلم سينمانى آثار ضجة)
٣ـ فتيات للبيع
٤ـ الضحيه
٥ـ الفريسة
٦ـ جميلة وشيطان
٧ـ حياة مغتصبة
٨ـ غراميات السيدة الأولى
٩ـ الحل فى يد محروس
١٠ـ ترويض الشرسة (وتحولت لمسلسل تليفزيونى آثار ضجة)
١١ـ امرأة لا تعرف الأدب
١٢ـ الرجل الذى اغتصبته امرأة
١٣ـ امرأة أنجبت للشيطان
١٤ـ ذات المحاسن (عشيقة من الجان)
١٥ـ قبل الصفر
١٦ـ حب له رائحة الياسمين
١٧ـ حكاية من الإسكندرية (شبح وامرأة)
١٨ـ سلسلة حكايات الأراجوز (للأطفال)
١٩ـ سلسلة صرعة الرعب.
٢٠ـ عريس من العالم الآخر
٢١ ـ سلسلة القصص الخضراء للأطفال.

الشعر

١- ديوان تذكرة سفر إلى القمر
٢- ديوان دروس خصوصية فى الحب
٣- ديوان هكذا تفهم النساء الحب
٤- همسة فى أذن شهريار
٥ - ذات العيون الجريئة

الدراسة

١- مرض نفسى اسمه الشيوعية
٢- الإمام المعتقل أحمد بن حنبل
٣- شلة الحموات
٤- حكمة وبلاغة الإمام الشافعى

كتب ساخرة

١- الكتاب المجنـــون.

نبيل خالد

كاتب ساخر وروائي وشاعر وباحث .

- عضو إتحاد كتاب مصر.
- عضو نادي القصة.
- عضو جمعية الأدباء المصريين.
- عضو إتحاد الناشرين.
- عضو جمعية المحاربين القدماء.
- عضو منظمة العفو الدولية.
- له مؤلفات توزع في المكتبات العربية في مختلف دول العالم وقد ترجمت بعض أعماله وقام بشرائها منظمات وجامعات عالمية.
- تحولت مجموعة قصصه إلى أفلام سينمائيه أهمها فيلم (هدى ومعالي الوزير) وإلى مسلسلات تليفزيونية أهمها (ترويض الشرسة ، حكايات ظريفة).
- كتب التحقيقات والمقالات الصحفية ، سياسية / أدبية / عسكرية ، بجريدة الرأي العام الكويتية - البلاغ الدوليه - الميدان وغيرها.
- حصل على جائزة أدب الحرب سنة ١٩٩٠.
- حاصل على بكالوريوس علوم عسكرية.

محمول: ٠١٢ / ٢٧٤٠٥٦٧

عنوان بريدي المنصورة ٣٥٥١١ ص ب ٩٥ مؤلفات نبيل خالد.